الحوار مع من؟؟

«رؤية نقدية للحوار المعاصر»

تأليف
أ. خالد أحمد علي عمر
باحث ماجستير - جامعة الأزهر

دار العلوم للنشر والتوزيع

الحوارمع من

رؤية نقدية للحوار المعاصر

المؤلف

أ/ خالد أحمد على عمر

باحث ماجستير - جامعة الأزهر

الحوار مع من " رؤية نقدية للحوار المعاصر"

تأليف

أ/ خالد أحمد على عمر

تصميم الغلاف :

سامر محمود

التنسيق الداخلى :

صالح صلاح عبدالعزيز

الناشر:

دار العلوم للنشر والتوزيع

رقم الإيداع :

2005/2869

الترقيم الدولى:

977-380-041-5

الطبعة:

الأولى - يناير 2005

سنة الطبع :

1426 هـ / 2005 م

العنوان:

43ب شارع رمسيس ـ أمام جمعية الشبان المسلمين ـ
الدور السادس ـ شقة 71 ـ معروف .

المراسلات:

ص ب: 202 محمد فريد 11518 القاهرة
هاتف :5761400(202)
فاكس:5799907(202)

إدارة المبيعات:

0101636192 ـ 0127221936

البريد الإلكترونى :

Info@daralaloom.com
daralaloom@hotmail.com
WWW.daralaloom.com

بسم الله الرحمن الرحيم

نموذج رقم ١٧

الأزهـــر
مجمـع البحـوث الإسـلامية
الإدارة العـامة
للبحـوث والتـأليف والترجمـة

AL-AZHAR
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writing & Translation

٦٠٥٥
٢٠٠٤

السيد / خالد أحمد علي عمر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد :

فبناء على الطلب المقدم بفحص ومراجعة كتاب : الحوار ودوره في الدعوة والتربية والثقافة تأليف / ...

نفيد بأن الكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الإسلامية ولا مانع من طبعه على نفقتكم الخاصة .

مع التأكيد على ضرورة العناية التامة بكتابة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة .

والله الموفق ...

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

مدير عام
ادارة البحوث والتأليف والترجمة

تحريرا في / / ١٤ هـ
الموافق ٤ / ١٠ / ٢٠٠٤ م

يعتمد
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية
فضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومي

إهداء

إلى كل مسلم يريد أن يتحاور

للحق ، وبالحق ، ومن أجل الحق

شكر وتقدير

أخص بالشكر والتقدير كل من ساهم في إخراج هذا الكتاب بأية صورة من الصور وصولاً لبلورة هذه الفكرة في أفضل ثوب لها. فجزاه الله خيرالجزاء ، وجعله في ميزان حسناته يوم القيامة .

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد، فالحمد لله الذي خلق الإنسان، وكرمه أيما تكريم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٠)، وبسط له سبل المعيشة على خير وجه، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (البقرة: ٢٩)، وأوجد له سبل الحياة حتى تتحقق خلافة الإنسان على أحسن حال، ويتم العيش والتعايش، والاتصال والتبادل بما يحقق خير البشر جميعًا.

وحتى تتحقق صلة الإنسانية ببعضها، ويتم التآزر والتعاون بينها، كان الحوار، فإذا وجد الإنسان كان الحوار، ولا يعدو الحوار أن يكون وسيلة للتخاطب بين الأفراد، كيف وقد خاطب الله به ملائكته في معرض بيان خلافة الإنسان على الأرض، على النحو الذي يليق به سبحانه وتعالى، بلا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل ولا تشبيه، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ

هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ٣٠ -٣٢). بل، وكلم الله سبحانه وتعالى آدم، فقال تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ (البقرة: ٣٣)، وقال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (البقرة: ٣٥).

وكلم الله عز وجل سيدنا موسى، عليه الصلاة والسلام ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ (النساء: ١٦٤). بل، كلم رسولنا وسيدنا محمد ﷺ، وفرض عليه الصلوات الخمس في الإسراء والمعراج حال سدرة المنتهى، بعد أن قابل رسولنا محمد ﷺ كليم الله، فأوضح له أن أمته لا تطيق الخمسين صلاة في اليوم والليلة، فرجع رسول الله، ﷺ، سائلاً ربه التخفيف، كما هو ثابت في حديث الإسراء والمعراج في رواية مسلم عن أنس بن مالك "... ثم ذهب إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، قال فلما غشيها من أمر الله، ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إليَّ ما أوحى، ففرض عليَّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى عليه السلام، فقال: ما فرض ربك إلى أمتك؟ قلت: خمسين صلاة. قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم. قال: فرجعت إلى ربي فقلت: يا رب خفف عن أمتي فحط عني خمسًا، فرجعت إلى موسى عليه السلام، فقلت: حط عني خمسًا. قال: إن أمتك لا

يطيقون ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. قال: فلم أزل ارجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى ﷺ، حتى قال: يا محمد إنهم خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشراً، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئًا، فإن عملها كتبت سيئة واحدة، قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى ﷺ فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه "(١)

بل إن الله عز وجل قد كلم عبد الله بن حرام بدون حجاب، فعن جابر بن عبد الله ﷺ، قال: قال لي رسول الله، ﷺ، إن الله تعالى لا يكلم أحداً إلا من وراء حجاب، وإنه كلم أباك كفاحًا، فقال: تمنَّ عليَّ . . . . "(٢).

وبالخطاب وبالحوار كان بلاغ الرسول ﷺ لأمته، وكانت دعوته، إذ لما أمر الله سبحانه وتعالى نبيه، ﷺ، أن يصدع بأمر الدعوة وإنذار عشيرته، قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾(الشعراء: ٢١٤)، وكما روي البخاري بسنده عن ابن عباس، صعد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي يا بني فهر، يا بني عدي – لبطون قريش – حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع إن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدِّقي؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقًا. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب:

---

(١) صحيح: رواه مسلم برقم (٢٥٩) في كتاب الإيمان - باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، صحيح مسلم بشرح النووي - تحقيق عصام الصبايطي وحازم محمد وعماد عامر، ط دار الحديث، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٢م

(٢) رواه الحاكم (٢/٢٠٤) معرفة الصحابة، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

تبًّا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۞ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾[1].

ولقد توالت الدعوة والحوار، فكان الحوار سبيل الدعوات، ناهيك عن أطره الأخرى، والتي لا تنفك عن الإنسان إذ وجد، كدوره في التربية والثقافة وبيان الحقوق والالتزامات، وكافة ما يتعلق بالإنسانية جمعاء.

ولقد ضرب الرسول، ﷺ، أروع المثل في الحوار أدبًا وشروطًا، وحجة وبيانًا، وقوة وسلطانًا، وتبعه في ذلك الصحابة الأبرار، والتابعون لهم بإحسان، حتى انتشر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، بفضل كلمة طيبة، وحوار دافئ، وخطاب دافق، وجدال بالتي هي أحسن، ثم توالت العصور والدهور، وتغيرت الظروف والأحوال، وبات الحوار يشكو ربه إلينا، فبعد أن كان الحوار وسيلة دعوة وقربى، أصبح طريق الجفاف والجفاء، بعد أن كان الحوار بابًا للدعوة، ومفتاحًا للتربية، وطريقًا للثقافة، انخرم ذلك كله، وأصبح بابًا مؤصدًا بين أهل الإسلام، فكيف بين المسلمين وغيرهم، فترى حربًا ضروسًا بين طوائف المسلمين، ترى قتالاً شرسًا بين المتحاورين، ترى بغيًا وتنافرًا، وتصارعًا وتقاتلاً، وبعد أن كانت الدعوة موجهة لغير المسلمين، أصبحت تراها بين المسلمين، بل وبين القائمين على أمر الإسلام، وهذا هو العجب العجاب!!!

---

(١) صحيح: رواه البخاري برقم (٤٧٧٠) في كتاب التفسير - باب "وأنذر عشيرتك الأقربين. واخفض جناحك"، راجع فتح الباري - بشرح صحيح البخاري - للإمام الحافظ بن حجر العسقلاني - طبعة دار الحديث- الطبعة الأولى - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

وإذا كنا نتشدق جميعًا، ونرمي أمة العرب بأنها أمة واحدة، في نطاق جغرافي واحد، تتكلم بلسان واحد، أنزل عليها وحي واحد، ونتعجب ونتساءل: لماذا لا تجتمع على كلمة سواء؟ لماذا لا تقف صفًّا واحدًا في مواجهة الأعداء؟! أما أولى هذا أن يوجه هذا العجب إلى من تجمعهم قضية واحدة، تجمعهم أفراحها وأتراحها؟!! أما أولى أن تقال إلى من يتخندق في خندق واحد تحت راية الإسلاميين؟!! أما أولى أن نضرب مثلاً عمليًّا مصغرًا لأمة الإسلام؟!!

والناظر للواقع، وللخلافات بين من يحملون هم الدعوة، ليتقطر دمًا، ويتقطع الحسرات من هذا الواقع المهين المشين، إذ يرى غير المسلمين وقلوبهم شتى تجمعهم آصرة العداء على الإسلام وأهله، بل يرى أعداء الإسلام ينهشون الإسلام وأهله جملة واحدة، بل يرى تكامل السياسات، وتعاون الخطط، وتآزر أفرادهم كلهم في ضرب الإسلام وأهله.

فإن وليت وجهك شطر الإسلاميين تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى، تحسبهم كتلة مجتمعين وهم فرادى مبعثرون، ورغم أنه يوجد ما يجمعهم، رغم اختلاف مشاربهم في خدمة الحق، إلا أنك ترى الحرب مستعرة بينهم دائمًا، لا تكاد تنطفئ في جانب حتى تشتعل في جانب آخر، تجد عبارات الهمز والغمز واللمز والطعن بينهم وفي حواراتهم، حتى للأسف في الخلافات الفقهية، إذ تجد الوصف بالجمود والانغلاق، وبعدم مسايرة الواقع، . . .، وغير ذلك، وهذا في أبسط شيء، ألا وهو التحاور، فكيف بغيره، إن كنت قد أخذت برأي واجتهدت فيه، فلماذا تلمز من اجتهد كذلك برأيه؟!!

ما كان هذا هدي النبي ﷺ ولا هدي أصحابه الكرام، بل ولا كان هدي الأئمة المتبوعين، ما كنت ترى التشنيع قط بينهم، بل كان بعضهم يدعو لبعض. وهذه بنت الإمام أحمد بن حنبل، ترى أباها يدعو كثيراً للإمام الشافعي، فسألته، فأوضح لها فضله، وأنه كان كالشمس للدنيا، وما كان قولهم إلا أن قالوا: رأيي الصواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب، مع توضيح كل لرأيه مع احترام أدب الحوار والخلاف، كل هذا والإسلام في أخطر مرحلة يمر بها منذ البعثة المحمدية، بعثة النبي ﷺ، إذ ترى تكالب الداخل والخارج على نحر الإسلام، وتذبيح أبنائه، واستحياء نسائه، وضربه في كل مكان، وتنفيذ المرحلة الأخيرة من مخططاتهم ـ لا مكنهم الله من ذلك.

إزاء هذا الضعف المزري، والتفرق الجاري بين المسلمين، وحب الدنيا وكراهية الموت، وتهلهل الإيمان في قلوب المسلمين، فماذا ينتظر أولئك لكى يتّحدوا، بل قل لكي يتعلموا أدب الحوار؟!

وهناك أطر للحوار نراها قد تنكبت سبيل الحوار الأرشد، بسبب شعارات زائفة بثها أعداء الإسلام، ليدخلوا المسلمين في حلقة جديدة من حلقات الفراغ الفكري، نعم، أنتم المسلمون، لماذا لا تتحاورون مع الآخر؟!!!

لماذا أنتم منغلقون على أنفسكم، منكفئون عليها؟!!

لماذا لا يتم التحاور لإرساء قيم المحبة والوئام، ونشر السلام العالمي في البسيطة؟!!

ونحن نقول يا من تدعون لغة الحوار وتزعمون الاتصال مع الآخرين، وتتكلمون كثيراً عن المحبة والوئام ونشر السلام، أين أفعالكم من أقوالكم؟!!

أين أنتم من بلاد المسلمين التي لا تتوقف فيها حمامات الدم ؟!!

أين أنتم من اتّباع الحق الواضح كالشمس في رابعة النهار؟!!

لكن المسألة لا تعدو أن تكون كلامًا في كلام، هذا الكلام ينفصل عن الواقع، كالزوجان المطلقان طلقة بائنة، ومع ذلك نرى إصرار البعض بالتحاور مع هؤلاء، أي تحاور هذا ودماء المسلمين تنزف في كل مكان! ! أي تحاور هذا وأتراح المسلمين تزداد يومًا بعد اليوم بسبب هؤلاء! !

وإذا كان هؤلاء قد جحدوا بالحق وكفروا به، هل يوفون بالعهد مع الإنسان؟!!

وطائفة أخرى أفنت عمرها في محاورة زنادقة العصر، ومن يطعنون في الإسلام ليل نهار، سرًا وجهرًا، أناس اصطفوا في هدم ثوابت الإسلام وأسسه، فماذا تنتظر من حوار هؤلاء؟! وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ * فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ * وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ * وَهُوَ يَخْشَىٰ *فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ (عبس: ٥ـ ١٠).

لهذا، ولغيره، كان موضوع الحوار، وكانت أهميته القصوى لمعرفة الحق من الباطل، والهدى من الضلال، ومعرفة المنهج الإلهي في الحوار، والمقومات الأساسية لإقامة أي حوار بناء، والشروط العامة للحوار وآدابه، وبيان عوائقه حتى يكون الحوار على أسس توافق الشرع، وضوابط لا تخالف الوحي، وحتى نعرف المواطن التي يجب أن نتحاور فيها، والأزمنة التي نتحاور فيها والأشخاص الذين يجب أن نتحاور معهم؛ حتى لا يضيع جهد المسلمين عبثًا وسدى، ولا يستدرجوا إلى أقوال وأفعال، تخالف الشرع، وتقتطع منه لمصلحة

أعداء الإسلام، وتذيب الفوارق بين الحق والباطل، وترفع من شأن أهل الباطل، وتدعم كيانهم، وتزيد نفوذهم، وحتى لا نتعلق بالوهم ولا بالخيال، كالسراب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجد شيئًا، وعلى العكس من ذلك نستخدم الحوار في أطره الصحيحة، في الدعوة، في التربية، في الثقافة، في بيان الحق ونشره، وإجلاء الصواب وبثه، وإيضاح الخير ونثره، وحتى يؤدي الحوار دوره المنشود في هذا كله.

هذا، ولقد ركزت في هذا الموضوع على أحوال أهل الإسلام المعاصرة لمعالجة الواقع، فلقد أصبح الكثير منا حُفاظًا لنصوص الوحي غير مسقطين لها على الواقع، رغم أن ذلك هو أساس الأمر وعموده، وما كان شأن القرآن الكريم ولا السنة المطهرة أن ينفصلا عن الواقع، بل العكس، فهذا دأبهما يحللان المشكلة، ويقدمان إطارها الصحيح، ويضعان العلاج الناجح، والدواء الشافي لتلك المشكلة، وهذا هو الغرض من الكتابة أولاً وآخرًا، فلسنا دعاة أقوال ولا نظريات جوفاء ليس لها من قرار ولا استقرار على أرض الواقع، فهذا ما حاولت أن أعالجه بفصل تمهيدي، فصدرت البحث أولاً بكلمة عن الحوار وفحواه، ومضمونه ومبناه، وثنيته بتبيان أهميته، وثلثته ببيان مشروعيته، وختمته بإبراز مجالاته. ثم بسطت أصول الحوار، وبينت مقوماته، ووضحت شروطه، وأفردت آدابه، وأجليت عوائقه. ثم عرجت بعد ذلك على منظومة الحوار عبر التاريخ، وكيف أنه كان لصيقًا بالإنسان، متصلاً به، بل وقبل خلقه، كما تقدم وسيأتي في حوار الله عز وجل مع الملائكة بشأن استخلاف الإنسان، ثم انتقلت رحلة الحوار بعد ذلك إلى بيان الحوار مع الذات وأهميته، والحوار مع الآخر وضابطه، إلى أن وصلنا إلى محطة الحوار والمواجهة،

وبيان صحيح الشرع في هذا الصدد، وجاء مسك الختام في بيان ثمرات الحوار في كل من الدعوة والتربية والثقافة. والتزمت في هذا كله بالاختصار غير المخل، والأسلوب غير الممل، مركِّزًا على أمراض الأمة، مبينًا الداء، مستخلصًا الدواء، موضحًا الحق جهدي، وأرجو أن أكون قد وفقت، مخرجًا الآيات والأحاديث، مكتفيًا بالعزو إلى صحيح البخاري ومسلم أو أحدهما، إن وجد فيها الحديث، وإلا بينته في موضعه، وختمت هذا البحث بخاتمة أخلص فيها إلى نتائج هذا البحث.

وعليه، فإن مدار هذا البحث على النحو الآتي:

- **فصل تمهيدي: التعريف العام للحوار.**
- **الفصل الأول: الضوابط العامة للحوار.**
- **الفصل الثاني: الحوار في التاريخ الإنساني.**
- **الفصل الثالث: الحوار مع الذات والحوار مع الآخر.**
- **الفصل الرابع: بين الحوار والمواجهة**
- **الفصل الخامس: ثمرات الحوار في الدعوة والتربية والثقافة**

ملاحظة:

تم تعديل عنوان الكتاب ـ فنيًا ـ قبيل الطبع مباشرة، دون المساس بالمحتوى، وذلك بعد صدور موافقة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، لذا لزم التنويه.

فصل تمهيدي

التعريف العام للحوار

لبداية الحديث عن الحوار، لا بد من تعريفه لغة، وبيان فحواه اصطلاحًا، ثم الانتقال إلى توضيح أهميته، وبيان مشروعيته، وتبيان أطره ومجالاته، وذلك على النحو الآتي:

- **المبحث الأول: ماهية الحوار**
- **المبحث الثاني: أهمية الحوار**
- **المبحث الثالث: مشروعية الحوار**
- **المبحث الرابع: مجالات الحوار**

المبحث الأول

ماهية الحوار

ما الحوار؟ وما تعريفه لغة ؟ وما مضمونه اصطلاحًا ؟

هذه هي بداية رحلتنا مع الحوار، وذلك على النحو التالي :

أولاً : تعريف الحوار لغة

ثانيًا : فحوى الحوار اصطلاحًا

أولاً : تعريف الحوار لغة(1)

الحِوار، بكسر الحاء، من حاور، محاورة، وحوارًا، أي جاوب وجادل، وفي التنزيل، قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ (الكهف: ٣٧)، وتحاوروا أي تراجعوا الكلام بينهم، وتجادلوا، وعرَّف مجمع اللغة العربية المصري الحوار، بكسر الحاء، بأنه حديث يجري بين شخصين أو أكثر في العمل القصصي أو بين ممثلين أو أكثر على المسرح، والحِوار بكسر الحاء، على النحو المتقدم، بخلاف الحُوار، بضم الحاء؛ إذ الأخيرهو ولد الناقة من وقت ولادته إلى أن يفطم ويفصل.

مما تقدم، يتضح أن معاني الحوار تدور حول المجاوبة والمجادلة ومراجعة الكلام بين قائليه، وهذا كله كائن في كل حديث، أما تعريف مجمع اللغة العربية

(١) انظر، مختار الصحاح، للشيخ محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، طبعة دار الحديث، بدون تاريخ، باب حور، ص٩٨، و المصباح المنير، للعلامة أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، طبعة دار الحديث الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ -٢٠٠٠ م، باب حور، ص٩٦، والمعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية المصري، طبعة ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م، باب حور، ص ١٧٧

المصري المذكور فهو غير عام، بل خصه المجمع بالمجال القصصي و ما كان على المسرح، والحق أن الحوار أعم من هذا بكثير، إذ كل حديث يكون فيه القول والقول الآخر، وتجاوب الكلام ومراجعته يكون حواراً، أينما كان محله، وأيًّا كان عدد المتحدثين.

ثانيًا: فحوى الحوار اصطلاحًا

- وإذا كان معنى الحوار لغة - كما تقدم - يدور في فلك التحادث بين شخصين، وما يستتبعه من مراجعة القول والقول الآخر فضلاً عن المجاوبة، بل وقد يصل الأمر إلى المجادلة بينهما، فإن مضمون الحوار اصطلاحًا لا يختلف عن هذا المعنى اللغوي، غير أنه ينحصر محله فيما يخص الشرع، ويكون مناطه في هذا البحث متعلقًا بالدعوة والتربية والثقافة.

وعليه يمكن تعريف الحوار اصطلاحا على النحو الآتي:

الحوار: حديث بين شخصين أو أكثر في مجال الشرع .

المبحث الثاني

أهمية الحوار

الإنسان مدني بطبعه، إذ لابد من العيش والاتصال بالآخرين، فالاجتماع الإنساني ضرورة؛ إذ به يتم تبادل المنافع والمصالح، و مادام الأمر كذلك، فكيف يتم هذا التبادل؟ وعبر ماذا يتم هذا الاتصال؟ إنه عبر الحوار، فالحوار وسيلة الاتصال بالآخرين، وطريق بيان الحقوق والالتزامات، ومن خلاله يتم حلول المشكلات.

إن الحوار هو أداة البيع والشراء والإيجار والشركة وغيرها من سائر المعاملات، الحوار هو بداية النكاح، وبنهايته يكون الطلاق، الحوار هو سبيل تحديد أمور الحضانة وسائر النفقات، بالحوار تتضح مفردات الحدود والجنايات من قاتل ومحدود.

- نعم، الحوار طريق بيان صحيح العقيدة، وبه يكشف فساد سائر الملل والفرق المخالفة لها.
- نعم، بالحوار يشهد الكل بعظمة المنظومة الإسلامية، من منظومة قضائية وإدارية ومالية وسياسية واقتصادية ودولية.
- نعم عبر الحوار يقدم الداعية خير دعوة لمدعويه، ويقدم المحاضر خير محاضرة لمحاضريه، ويقدم المثقف خير ثقافة لسامعيه.
- نعم، بالحوار يكون حسن التربية، فالحوار هو دأب جناحي الأسرة من أب وأم، ناهيك عن الولد، وبالأحرى يكون بين المدرس وتلميذه، فبالحوار يتم التعليم، بداية من أحكام التجويد، ونهاية بسائر المواد والعلوم.

وحدث عن هذا في كل مجالات الحياة يبن لك أهمية الحوار؛ في المجالين: النظري والعملي، في الروح والمادة، في الدعوة والتربية والثقافة، في الأطر الفكرية، وبين جنبات الحياة العملية، بين الفرد وأخيه المسلم، بل وغير المسلم، بين الشعوب وحكامها، وفي العلاقات بين الدول وبعضها، ناهيك عن العلاقات التي تتم بين منظمات المجتمع المدني من الجمعيات والنقابات وغيرها، والمنظمات الإقليمية والدولية وغير ذلك.

وبالأحرى، فالحوار هو سبيل اتصال الأفراد والجماعات والشعوب والدول، ومن خلاله ترتقي الأمم والشعوب، وتتقدم التقنيات والحضارات. وإذا كان الماء مناط حياة الإنسان المادية، فبالحوار المشروع تسري فيه الحياة المعنوية والروحية.

المبحث الثالث

مشروعية الحوار

الحوار مشروع بالكتاب والسنة والإجماع والمعقول، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: الكتاب

ورد معني الحوار في كتاب الله عزَّ وجل بصورة حافلة، سواء عبر مشتقات لفظة الحوار أو مضمونها، أو من خلال أمثلة ما وردت للحوار في القرآن:

أ- مشتقات لفظة الحوار:

وردت مشتقات الحوار في ثلاثة مواضع[١] من القرآن الكريم، اثنين منها في موضوع واحد، وفي سورة واحدة، ألا وهي سورة الكهف، والثالث في أول سورة المجادلة. فأما الاثنان اللذان في سورة الكهف، فقد وردا في قصة صاحب الجنتين[٢]، في قوله عز وجل ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ

---

(١) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، ص ٢٢

(٢) والقصة أن الله أسبغ على كافر نعمه الجليلة، فجعل له بستانين حسنين، وحباهما من كل الثمرات، وخصهما من أشرف الشجرات، العنب والنخل، وجعل الأنهار في جوانبهما سارحة كثيرة غزيرة. فأثمرا ثمرًا عظيمًا، فهل شكر نعمة ربه؟! كلا، بل تفاخر على صاحبه المؤمن بكثرة ماله، وعزة أنصاره، فأي جهل هذا ممن يفتخر بأمر أوتيه، لم يكن له فضل في جلبه، بل عظم جهله، وركن إلى الدنيا، واعتقد أنها لن تنقطع أبدًا، وكانت الطامة، فأنكر بالبعث، بل وادعى، تهكمًا منه وسخرية، أنه لو رد إلى ربه فسيعطيه خيرًا من جنتيه، فظلم نفسه، فما كان من صاحبه إلا أن نصحه وذكره بنعمة ربه عليه، وأنه الذي أوجده من عدم، ونقله من طور إلى طور، وهيأ له نعم الدنيا، فأمر المؤمن بربوبية الله عز وجل وتوحيده له وعدم الشرك به، وأوضح أن النعمة الحقيقية هي نعمة الإيمان، وأن ما عند الله خير وأبقى، وأنه قادر على إعطائه، كما هو قادر على سلب الكافر ما أعطاه بعذاب من عنده. وقد كان، إذ أحيط بثمره، وأصبح الكافر يقلب كفيه على ما أنفق فيها، ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدًا، فكان هذا من ضرب المثل للمؤمن الشاكر، وللكافر الجاحد، وعاقبة كل ونهايته.

أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا﴾ (الكهف: ٣٤)، وكذلك قول الله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا﴾ (الكهف: ٣٧).

ووجه الشاهد في الآيتين واضح، ففي الأولى، يحاور صاحب الجنتين الكافر صاحبه المؤمن، معتزاً بماله ونفره، مفتخراً بهما، وفي الآية الثانية، حوار من المؤمن للكافر بتذكيره بآلاء الله عز وجل عليه مذ بدء خلقه، وفيهما ـ أي الآيتين ـ بيان مشروعية الحوار، كيف لا؟! وهو أداة التخاطب، ووسيلة الحديث، وإذا كان الكافر قد استخدمه في سبيل نصرة باطله، فلعل تكرار لفظة "يحاوره" للدلالة ـ فوق كونه مشروعًا ـ أنه لا بد منه لإحقاق الحق وإبطال الباطل إزاء ترويج الباطل لباطله، وحتى لا تكون ثمة فتنة بعد.

وأما الموضع الثالث، فقد ورد في صدر سورة المجادلة في قصة أوس بن الصامت الذي ظاهر من زوجته[1]، قال تعالى: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ

راجع بتصرف تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، للشيخ/ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق/ عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص ٤٧٦ وما بعدها.

(١) والقصة ذكرها الإمام أحمد في المسند ٦/٤١٠ بسنده عن خويلة بنت ثعلبة، قالت فيَّ والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة، قالت: كنت عنده وكان شيخًا كبيرًا قد ساء خلقه، قالت: فدخل عليَّ يومًا فراجعته بشيء فغضب، فقال أنت عليَّ كظهر أمي. قالت: ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة، ثم دخل عليَّ، فإذا هو يريدني عن نفسي، قالت: قلت كلا والذي نفس خويلة بيده لا تخلص إليَّ وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه، قالت: فواثبني فامتنعت عنه فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف فألقيته عني، قالت: ثم خرجت إلى بعض جاراتي فاستعرت منها ثيابًا، ثم خرجت حتى جئت رسول الله ﷺ فجلست بين يديه فذكرت له ما لقيت منه، وجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه، قالت: فجعل رسول الله ﷺ يقول "يا خويلة، ابن عمك شيخ كبير، فاتقي الله فيه"، قالت: فوالله ما برحت حتى نزل فيَّ قرآن، فتغشى رسول الله ﷺ ما كان يتغشاه ثم سري عنه فقال لي: يا خويلة، قد أنزل فيك وفي صاحبك قرآناً - ثم قرأ الآية المذكورة وبيّن

ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ (المجادلة: ١).

ووجه الدلالة من الآية المذكورة جلي واضح، إذ أضفى المشروعية على التحاور، لاسيما وأنه تحاور يدور في بيان الوصول إلى حكم الحق، وذلك لبيان حكم الله في الظهار.

وبضميمة هذه الآية إلى الآيتين السابقتين يتضح أهمية التحاور إذ لم يذكرها القرآن الكريم بمشتقات لفظها، إلا في معرض التدافع بين الحق والباطل، وفي سبيل الوصول إلى الحق، وما ذلك ـ والله أعلم ـ إلا ليرشدنا إلى عظم دور الحوار، وأنه منارة للحق، ورايته، وسبيل إقراره وتدشينه.

أ- مضمون معنى الحوار

أما بخصوص مضمون ما ورد بصدد معنى الحوار في القرآن الكريم، فقد حفل به كتاب الله عز وجل، ونختار ما ورد من خلال ألفاظ الحديث، والخطاب، والمجادلة، والمحاجاة والكلام[1]، وهاك بيان ذلك:

أ- قال تعالى: ﴿وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ (النساء: ١٤٠). وفي هذه الآية الكريمة إرشاد من الله عز وجل إلى المسلمين أن يجتنبوا مجالس الكافرين والمنافقين الذين يخوضون في آيات الله ويستهزءون بها عبر الحديث، وقد يكون بينهم مسلمون، فعلى المسلم أن يجتنب أولئك

كفارة الظهار. ذكر القصة ابن كثير في تفسيره ـ تفسير القرآن العظيم – تحقيق/ طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الإيمان، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ – ١٩٩٦م)، المجلد الرابع– الجزء الثامن ـ مصر.

(١) وهنا نكتة لطيفة حيث تدور بدايات حروف الحوار وجل مشتقاتها بين الجيم والحاء والخاء (حور ـ حدث ـ خطب ـ جدل – حجج).

ومجالسهم؛ لئلا يكون منهم، ويحشر معهم، وإذا كان المسلم أساسًا داعيًا إلى ربه، فكيف يجلس في مجالس يصمت فيها عن الحق، وكأنه شيطان أخرس؟! وأي حق هذا !! إنه يطعن في دين الله عز وجل، ومع ذلك يجلس بينهم!!! وكم من مجالس يجلس فيها المسلمون وقد كتب عليهم التيه ويطعن فيها الطاعنون، ويلمز فيها اللامزون، ولا مستنكر!

وفي الآية الكريمة، بيان مشروعية الحديث والحوار، لكن ذلك مشروط بعدم الإتيان بما ينقض دين الله عز وجل.

١ـ قال تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُواْ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ * إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ (سورة ص: ٢١ـ٢٣).

وهذه قضية إنسانية أخرى، ظلم وجور بين الشريكين، وقل من لا يفعله، والعجيب أن من لديه الكثير ينظر إلى من عنده القليل! ماذا تريد؟! لقد أعطاك الله، أهذا شكر نعمته؟! لا، إنه النهم الجنوني للدنيا، وللأسف الشديد، تراه يقهر غيره للوصول إلي ما يريد، يحطم سواه لنيل مآربه، يلون في الحديث ويتلون، يبسط الحجج الباطلة بسطًا، ولو بالباطل، وصدق رسول الله ﷺ، إذ يقول: "إنكم تختصمون إلى ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض. فأقضي له على نحو مما أسمع منه. فمن قطعت له من حق أخيه شيئًا، فلا يأخذه، فإنما أقطع له به قطعة من النار"(١).

(١) صحيح، رواه مسلم برقم (١٧١٣) - باب كتاب الأقضية، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة.

وفي هذا بيان لمشروعية الحديث، والتحذير واتخاذ اللحن فيه مطية لاغتصاب حقوق الآخرين وظلمهم.

٣ـ قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾ (غافر: ٣٥).

وهذه آفة أخرى للحوار، إذ بعد أن يعرض الله الآيات البينات والمعجزات الواضحات، ومنها القرآن الكريم، لم يبق إلا الإذعان للحق، لكن كيف هذا مع نفوس ملئت بالكبر!! كيف ذلك مع نفوس تأصلت على التكبر والتجبر على الآخرين!! إنه مع فقرهم في الحجة، وخلو أيديهم من البيان يأخذ الحوار، وهو مشروع، فينقله إلى عدم المشروعية، بالجدال في الآيات، جدال لرد الحق، جدال للطعن في الحق، جدال لمجرد الجدال، فكان طبع الله على قلوبهم جزاء وفاقًا لسوء صنيعهم.

وإذا كان الحوار يلتصق بالإنسان في دنياه، فلا غرو كذلك أن يكون في أخراه. وكتاب الله تعالى زاخر بمثل هذه الحوارات كالحوار بين أهل الجنة وأهل النار وبيان من وجد ما وعده ربه حقًا كما في آيات سورة الأعراف، قال الله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ * ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ * وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ * وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ * أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ

ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ * وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (الأعراف: ٤٤-٥٠).

وهناك وكذلك الحوار بين أهل النار فيما بينهم، والتي تبلغ الحسرة مداها يومئذ. فهؤلاء التابعون الذين كانوا يؤلهون المتبوعين، وهؤلاء المستضعفون الذين كانوا يسيرون في ركاب المستكبرين، رأوا نتيجة عملهم إذ كانوا شركاء مع آلهتهم في نار جهنم.. ماذا فعلوا لكم؟! أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون؟!! هل نصروكم؟!! هل أغنوا عنكم من العذاب شيئًا؟!! ومن ذلك آيات سورة البقرة، قال الله تعالى: ﴿وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ * إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ *وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ (البقرة: ١٦٥-١٦٧).

ناهيك عن الحوار بين أهل النار وملائكة العذاب، إذ يستغيثون من النار، ومن عذابها، ويتضرعون ويلهثون أن يخفف عنهم يومًا من العذاب، يومًا واحدًا من العذاب. لكن هيهات هيهات، لقد أذقتم المؤمنين المستضعفين سوء العذاب، لقد ذبحتم وقتلتم، لقد توليتم ركاب فتنة الناس عن دينهم، فيرد عليهم الملائكة بعد سنوات وسنوات أن ذوقوا ما كنتم تعملون. لقد جاءتكم الآيات والرسل فكذبتم واستكبرتم وجحدتم، كذلك الحوار بين الله عز وجل وأهل الجنة وأهل النار، كما في آيات سورة الأنعام. قال الله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ* بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ

لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ * وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ * وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ * قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ * وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (الأنعام: ٢٧-٣٢).

كل ذلك يبين مشروعية الحوار، ويرشدنا ويحثنا على أن نكون من أهل الجنة، لا من أهل النار، حيث يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم، وما هم بخارجين من النار.

جـ - الحوارات القرآنية

لقد حفل القرآن الكريم بأمثلة عملية للحوار، بل يضع القرآن أيدينا بهذه الحوارات على مكنون النفس البشرية وعلاجها من أمراضها، وبيان الحجج الإلهية ضد ألوان الجدال الشيطانية، كما تضمن كثيراً من الدروس العملية، التي تفيد النفس الإنسانية. فترى الحوار بين الله عز وجل والملائكة كما في آيات سورة البقرة السالف ذكرها، ناهيك عن الحوارات بين الأنبياء والمرسلين من جهة وقومهم من جهة أخرى، كما هو جلي واضح في القرآن، وبخاصة سور الأعراف وهود والشعراء[1].

(١) سيأتي في الفصل الثاني بيان المستفاد من بعض لهذه الحوارات والمقصود هنا بيان مشروعية الحوار ليس إلا.

حوار بين الله ﷻ وكليمه سيدنا موسى عليه السلام:

قال الله تعالى في سورة الأعراف:

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ * قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ * وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ * سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ * وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٤٣-١٤٧).

حوار سيدنا نوح عليه السلام مع قومه:

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ

رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا عَمِينَ﴾(الأعراف: ٥٩-٦٤)

حوار هود عليه السلام مع قومه:

قال الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ * قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ * أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ * قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ * فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾. (الأعراف: ٦٥-٧٢)

حوار صالح عليه السلام مع قومه:

قال الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ

أَلِيمٌ ۞ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ۞ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۞ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ۞ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ (الأعراف: ٧٣-٧٩).

حوار لوط عليه السلام مع قومه:

قال الله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۞ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۞ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۞ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ (الأعراف: ٨٠-٨٤).

حوار شعيب عليه السلام مع قومه:

قال الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُواْ

ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى
ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ وَلَا
تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ
بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ۞ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟
بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ
خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ
يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ
كُنَّا كَٰرِهِينَ ۞ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ
نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ
رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا
بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ۞ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ
ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ۞ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى
دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ۞ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ
ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ۞ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ
يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ
قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾ (الأعراف: ٨٥-٩٣).

وحوار موسى عليه السلام مع فرعون والسحرة:

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَاۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ۞ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۞ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۞ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ۞ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۞ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۞ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۞ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ۞ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ۞ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۞ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ۞ قَالَ أَلْقُواْۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۞ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۞ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ۞ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ۞ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۞ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَاۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ۞ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۞ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَاۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (الأعراف: ١٠٣ـ١٢٦)

وبالإضافة إلى ما تقدم، هناك الحوارات بين الأنبياء وغيرهم كما في قصة يوسف وقصة سيدنا موسى عليه السلام والخضر، إذ قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَإِذْ

قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ۞ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ۞ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَـٰذَا نَصَبًا ۞ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ۞ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ۞ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۞ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ۞ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ۞ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ۞ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ۞ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۞ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ۞ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ۞ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَـٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ۞ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَـٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ۞ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۞ قَالَ هَـٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ۞ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَـٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۞ وَأَمَّا ٱلْغُلَـٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۞ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ۞ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ

تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ (الكهف: ٦٠-٨٢). كذلك حوار موسى عليه السلام والرجل الصالح ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَـٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَـٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ * قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ (القصص: ٢٧ -٢٨).

وفضلاً عن ذلك، الحوارات القائمة بين آحاد الناس كالحوار بين الرجل المؤمن وصاحب الجنتين في سورة الكهف، إذ يقول الله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَـٰبٍ وَحَفَفْنَـٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا * كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَرًا * وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَـٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا * وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا * وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا * قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا * لَّـٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا * وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا * فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا * أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا * وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا * وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴾ (الكهف: ٣٢-٤٤) وكذلك في سورة القلم من أصحاب الجنة،

وغير ذلك كثير مبثوث في القرآن.

و الحاصل مما تقدم بيان مشروعية الحوار. كيف لا؟! وهو رديف الإنسانية حيث وجدت.

ثانيًا: السنة

تعدّ السنة مصدراً خصبًا كذلك لبيان مشروعية الحوار. بل هي في حد ذاتها حوار، كما هو جلي واضح في السنن القولية، وما أقر به النبي ﷺ أصحابه عليه. وعليك أن تستعرض السنة القولية، وفيها تجد من عديد الحوارات ما تفيد به وتستفيد. وفي عامة أبواب الشرع؛ إذ تجد سؤال الصحابة للنبي ﷺ في عديد من المواطن لبيان وجه، الحق من ذلك ما رواه أبو هريرة ﷺ، قال: سأل رجل النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله إنا نركب البحر، ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضأنا به عطشنا، أفنتوضأ بماء البحر؟ فقال رسول الله ﷺ: هو الطهور ماؤه، الحل ميتته"(١).

ومن أنواع الحوار كذلك ما كان بين الرسول ﷺ والملائكة، ومنه حديث الإيمان المشهور، فلقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ، قال: كان رسول الله ﷺ يومًا بارزًا للناس، فأتاه رجل فقال: يا رسول الله، ما الإيمان؟ قال: "أن تؤمن بالله وملائكته، وكتابه، ولقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث الآخر". قال: يارسول الله، ما الإسلام؟ قال: "الإسلام أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك". قال: يا رسول الله، متى الساعة؟ قال: "ما المسئول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربها، فذاك من أشراطها، وإذا كانت العراة الحفاة رؤوس الناس، فذاك من أشراطها. وإذا تطاول رعاء البَهْم في البنيان، فذاك من أشراطها في

---

(١) رواه أبو داود برقم (٨٣) - وعند ابن ماجه بلفظ غيره برقم (٣٢٤٦)

خمس لا يعلمهن إلا الله" . ثم تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ (لقمان: ٣٤). قال: ثم أدبر الرجل، فقال رسول الله ﷺ: "ردوا علي الرجل" . فأخذوا ليردوه، فلم يروا شيئًا. فقال رسول الله ﷺ: "هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم"[(١)].

ومن أنواع الحوار الذي دشنته السنة ما كان من إقرارالنبى ﷺ، لأفعال بعض الصحابة، فلقد روى أبو داود بسنده عن عمرو بن العاص. قال: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيممت، ثم صليت بأصحابي الصبح. فذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال "يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب" . فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال، وقلت إني سمعت الله يقول ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾، فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئًا.[(٢)]

نخلص من ذلك كله إلى ثبوت مشروعية الحوار كذلك بالسنة النبوية المطهرة.

ثالثًا: الإجماع

ولا أظن أن واحدًا ينكر إجماع الأمة على مشروعية الحوار. كيف لا وهو مفتاح البلاغ، وطريق الدعوة، وسبيل التربية، وأداة الثقافة، وغير ذلك من الأمور التي أجمع على وجوبها العلماء، والتي لا ولن تتحقق إلا بالحوار. فكان الحوار بالتالي محل إجماع بالتبعية.

---

(١) صحيح، رواه مسلم برقم (٥) كتاب الإيمان - (باب) بيان الإيمان والإسلام والإحسان ج١/ ٧٨ - صحيح مسلم بشرح النووى -ط- دار الحديث- الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .
(٢) رواه أبو داود برقم (٣٣٤)

رابعًا: المعقول

الحوار مشروع عقلاً، وذلك لأمور عدة، منها :ـ

إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان واستعمره في الأرض، وحتى يؤدي الإنسان هذه المهمة، لابد من الاتصال بالآخرين، وسبيل الاتصال وأداته ليس إلا الحوار.

وإنه لو لم يكن هناك حوار لانعدم الاتصال. ولنا أن تصور الحياة حينئذ، حيث تفقد أساسها وثمرتها، إذ تكون الحياة بين صم بكم، حتى لا يتحاورون بموجب لغة الإشارة المعاصرة الخاصة بهم، وهذا يجعل الحياة موتًا، فبطل أصلها وهو عدم الحوار، وثبت ضدها، ألا وهو مشروعية الحوار.

وما قيل في عمارة الأرض يثبت في القيام بالواجبات الشرعية، وهي آكد وأوجب وأولى، وتُقدَّم على عمارة الأرض، فثبتت إذن مشروعية الحوار.

إن الله خلق الإنسان، وخلق له أدوات ووسائل الحوار من سمع وبصر ولسان ويد للإشارة للصم والبكم. وإذا انعدم الحوار، لم يكن لهذا الخلق من أهمية، وكان خلقه عبثًا. وهذا مستحيل على الله عز وجل، فبطل أساسها، وثبتت أهميتها. ولن تتحقق أهمية هذه الوسائل إلا باستخدامها، واستخدامها ليس إلا نوع حوار، فثبتت مشروعيته.

مما تقدم، يتضح ثبوت مشروعية الحوار بالكتاب والسنة والإجماع والمعقول، لكن الإسلام لا يقر أي حوار كان، إلاّ بضوابط مخصوصة. ترى ما هي هذه الضوابط؟ وقبل ذلك : ما هي مجالاته؟

المبحث الرابع : مجالات الحوار

الحوار لصيق بالإنسانية ، فحيثما وُجد الإنسان كان الحوار ، ولذا فالحوار أعمّ من أن يكون له مجال ، إذ يكون بين الصغير والكبير ، وبين الزوج وزوجته ، وبين الفرد وغيره ، ولكل مجاله ونطاقه .

بل ، وقد يكون الحوار بين الفرد ونفسه ، وهو أصدق الحوار ، متى صدق فيه المرء مع نفسه . ولعل النفس اللوامة من نتاج هذا الحوار ، وعلى العكس تكون النفس الأمارة بالسوء ، متى دعته إلى داعي السوء .

وإذا كان هذا بصفة عامة ، فإن الدائرة تنحسر بعض الشيء إذا خصصنا محل الحوار . فإذا كنا بصدد الحوار في الدعوة ، فيكون الحوار بين الداعية والمدعون ، ويكون موضوع الحوار حالئذ ليس إلا دعوتهم . وبالتالي ، يكون مصب الحوار في دائرة الشرع من خلال الكتاب والسنة . وإذا كان الأمر متعلقًا بالتربية ، فيكون طرفا الحوار هما المربِّي والمربَّى ، ويكون غاية الحوار ما يتصل بالتربية ، وقد يكون فحوى الحوار خاص بالثقافة وكل ما يشملها .

إزاء ما تقدم ، منها :ـ

١ـ إن تقسيم الحوار ليس إلا تقسيمًا نظريًّا فحسب ، ويشهد الواقع بذلك ، إذ تتلاقى شتى موضوعات الحوار دون حدٍّ فاصل بينها . فقد يكون موضوع الحوار في الدعوة ، ثم يتطرق الحديث بعدئذ إلى الثقافة وأطرها ، وهكذا .

٢ـ إنه مما يساعد على عدم جمود أطر الحوار وتعددها ، تفاعل العلوم الإنسانية والنظرية معًا ، واتصالها ببعضها بشكل أو بآخر ، إذ لا يمكن الحديث على وجه موضوعي متعمق ، عن علم ، دون التطرق إلى علم آخر ، فالحديث عن الدعوة يتطرق إلى التربية ، وقد يكون مدخل الدعوة عبر الثقافة ، ونحو ذلك .

الفصل الأول

الضوابط العامة للحوار

للحوار ضوابط عامة هي أساس معول نجاح أي حوار، ويتم تناولها من خلال بيان مقوماته، واستجلاء شروطه، وتوضيح آدابه، وتحديد عوائقه، وذلك في مباحث أربعة على النحو التالي:

- **المبحث الأول: المقومات الأساسية للحوار**
- **المبحث الثاني: شروط الحوار**
- **المبحث الثالث: آداب الحوار**
- **المبحث الرابع: عوائق الحوار**

المبحث الأول: المقومات الأساسية للحوار

لكل شيء مقومات أساسية، ودون وجود هذه المقومات، يصبح الحديث عن ذلك الشيء لغواً لا طائل من ورائه، وهباءً لا فائدة من بحثه. ولا يخرج الحوار عن هذا الإطار، إذ لا بد من توافر مقومات أساسية للحوار.

هذه المقومات - إن توافرت - أثمرت شجرة الحوار وآتت أكلها مغدقة نافعة. وعلى العكس، إن انتفت هذه المقومات، واختفت تلك الدعامات، أصبح الأمر ليس إلا عبثًا وسُدًى وهملاً لا نجني من ورائه إلا السراب. ومن تلك المقومات ما يلي:-

أولاً: ألا يخالف الحوار ثوابت الشرع

ثانيًا: أن يؤتي الحوار ثمرته

أولاً: ألا يخالف الحوار ثوابت الشرع

خلق الله الإنسان وفطره على الحق، وأودعه عقلاً يميز بينه وبين الباطل، ويفرق بين الغث والثمين، وأرسل له الرسل مؤيدين بالآيات والمعجزات ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١٦٥) وختم النبوات بسيدنا محمد ﷺ. قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٤٠).

وعن أبي هريرة، ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: "مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانًا فأحسنه وجمّله إلا موضع لبنة من زاوية من زاوياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة! قال: فأنا

اللبنة، وأنا خاتم النبيين"[1].

فكان الإسلام الدين الخاتم، وكان آخر ما نزل به الوحي إلى يوم القيامة، وإذ كان الأمر كذلك، فقد اختلفت رسالة الإسلام عما قبلها، فهي عامة شاملة موضوعًا وزمانًا ومكانًا وأشخاصًا، وبالأحرى فهي صالحة لكل زمان ومكان وعبر مختلف البيئات والعصور والأمصار. قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سبأ: ٢٨)، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ (يوسف: ١٠٤)، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: ١).

هذا السمت العالمي لشريعة الإسلام حباها بالكمال والتمام. قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ﴾ (المائدة: ٣). كيف لا وهي تحوي الخير كله، مبناها على الرحمة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، وأساسها المصلحة. قال الإمام بن القيم: "فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة، وإن دخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله ﷺ أتم دلالة وأصدقها، وهي نوره الذي به أبصر المبصرون، وهداه الذي اهتدى به

(١) متفق عليه: صحيح مسلم: في كتاب الفضائل - باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين، قم (٢٢٨٦)، ووافقه البخاري من غير هذا الوجه عن أبي هريرة برقم (٣٥٣٥).

المهتدون، وشفاؤه التام الذي به دواء كل عليل، وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل، فهي قرة العيون، وحياة القلوب، ولذة الأرواح، وبها الحياة والغذاء والدواء والنور والشفاء والعصمة، وكل الخير في الوجود فإنما هو مستفاد منها، وحاصل بها، وكل نقص في الوجود فسببه من إضاعتها، ولولا رسوم قد بقيت لخرجت الدنيا وطوي العالم، وهي العصمة للناس وقوام العالم، وبها يمسك الله السموات والأرض أن تزولا، فإذا أراد الله سبحانه وتعالى خراب الدنيا وطي العالم، رفع إليه ما بقي من رسومها. فالشريعة التي بعث الله بها رسوله هي عمود العالم وقطب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة"(١).

ولذا كله، كان جناحا الشريعة جلب المصالح ودرء المفاسد، قال الإمام العز بن عبدالسلام "إن الشريعة كلها مصالح العباد، إما درء مفاسد أو جلب مصالح"(٢). فراعت الشريعة الإسلامية مصالح العباد كافة سواء كانت ضرورية لا قيام للحياة بدونها، وبفوتها يحل الفساد والفوضى ويختل نظام الحياة، والمتعلقة بحفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال، أم مصالح حاجية يحتاج الناس إليها ليعيشوا فى يسر وسعة، وبفوتها يصيب الناس ضيق وحرج؛ كرخصة الفطر للمريض، أم مصالح تحسينية، ترجع إلى محاسن العادات ومكارم الأخلاق، وبفوتها تخرج حياتهم عن النهج الأقوم، وما تستدعيه الفطر السليمة والعادات الكريمة كالطهارة"(٣).

---

(١) راجع إعلام الموقعين عن رب العالمين، للإمام ابن القيم الجوزية. . تحقيق عصام الدين الصبابطي، دار الحديث ١٤٢٢ هـ- ٢٠٠٢ م، المجلد الثاني - ج٣ ص٥.

(٢) راجع: قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام، ج١ ص ٩

(٣) انظر: المدخل لدراسة الشريعة الإسلامي، د/ عبد الكريم زيدان، دار عمر بن الخطاب، ص ٤٨

هذه العالمية استوجبت كذلك أن تتنوع أحكام الشرع[1] بين أحكام تفصيلية ثابتة لا تتغير بمرور الزمان والمكان، كأحكام العقيدة الإسلامية والأخلاق وبعض الأحكام التفصيلية الخاصة ببعض علاقات الأفراد فيما بينهم، كتحديد المواريث، ناهيك عن أصول الأحكام والمحرمات وغيرها من الأحكام القطعية كتحريم الربا وبيان الأحكام الخاصة بالحدود والقصاص، إذ تبقى إليها الحاجة في كل زمان ومكان، وقد أتت الشريعة فيها على أتم بنيان، لا يتصور فيها جورٌ ولا يعتريها نقصانٌ.

والنوع الآخر من الأحكام قد جاء على شكل قواعد ومبادئ عامة مراعاة لتغير الزمان والمكان، وإيفاءً بحاجات الإنسان، وتحقيقًا لليسر وعدم الحرج، وانتفاءً للضيق والمشقة، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ (البقرة: ١٨٥). وقال عزَّ من قائل: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (المائدة: ٦).

ومثال ذلك النوع: مبادئ الشورى والعدالة والمساواة وغيرها مما لم ينظمها الشرع تفصيلاً، ولكن ترك ذلك بحسب تغير العصور والأزمنة والظروف والأحوال، مما يسجد العبد لله شكراً على هذه النعمة المسداة، والصبغة المهداة، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ (البقرة: ١٣٨) نعم، ونحن له عابدون، كيف لا وهو العليم اللطيف الخبير، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤)

هذا هو شرعنا الحنيف الذي ما فتئت الأفئدة إن عرفته، حتى آبت إلى

---

(١) المرجع السابق وبتصرف، د/ عبد الكريم زيدان، ص ٥٠ وما بعدها

أصلها، ورجعت عن غيها، لا يحتاج إلا إلى رجال، نعم، رجال قال الله تعالى فيهم: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: ٢٣)، وقال تعالى﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ * لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (النور: ٣٧ـ٣٨).

نعم، لا يحتاج إلا لمحام ماهر[1] في صورة عالم ربَّاني أو داع مخلص أو واعظ صادق، لاسيما مع انتهاءِ النبوات، نعم، محام يبرز عظمة الإسلام، ويوضح خيريته، ويبين فضله، ويجلي محاسنه، ويفرد فوائده، فهذا هو مبلغ أي حوار ومنتهاه، نعم، فهو مبتغى أي حوار كان وسيكون، وهدف أي حوار قام وسيقوم، هو أساس الحوار ومناطه، ومحكه وإطاره، ومضمونه ومجاله، لا عاطفة ولا إحساسًا، لكن علمًا وواقعًا، علمًا يوضح فقر الأديان والفرق والملل الأخرى وكافة النظريات الوضعية عن أن تصبو بالإنسان إلى مراقي الكمال والفلاح، وواقعًا يغني عن المقال وينطق بكل لسان إلى حاجة البشرية كافة إلى ريٍّ بعد عطشان، وإلى شبع بعد جوع وحرمان، ومحله في شرع كل إنسان، من الرحيم الرحمن.

ونظرةٌ إلى الواقع المعاصر لتجعل المرء يبكي دمًا لا دموعًا، ويزداد ألمه ويشتد نحيبه، ويتقطع الحسرات تلو الحسرات، ترى لماذا؟

فبعد أن بذل في هذا الدين النفس والنفيس، بدءًا من المال والدماء، ومرورًا بتضحيات جسام، وتحملاً لكافة أنواع الأذى والمشقات، من رأس الدعوة، سيدنا محمد ﷺ وأصحابه الكرام، وأتباعهم من علمائنا الأعلام، الذين ما فرطوا في دينهم طرفة عين، بل حملوه ولو على أكفانهم، كما نزل به الوحي غضًّا

(١) كما كان يقول بذلك دائمًا الشيخ/ محمد الغزالي - رحمه الله تعالى -.

طريًّا، بلا تحريف ولا تبديل، ولا تغير ولا تغيير، لا استجابة لواقع مرير، ولاضغطًا من سوط ترهيب، ولا توصلاً لذهب معز، ولا تمييعًا لّلصراط المستقيم، واليوم فوجئنا بأطر للحوار مفتوحة، وبسبلٍ للنقاش مطروحة، تتحدث عن الإسلام وكأنه سُبَّة في جبينها، وتتخندق بهً في خندق الدفاع، وتلون به وتتلون كيما يرضي الآخر، كيف هذا؟

الإسلام الذي أرسله الله للعالمين، أيكون به الحوار كذلك ؟!

الإسلام الذي كلفنا الله بنشره وتبليغه للناس كافة، أهذا هو مقتضى نشره وتبليغه ؟!

الإسلام الذي قال الله فيه﴿الٓمٓصٓ* كِتَـٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: ١ـ٢).

نَعم، لا تتحرج من الإنذار به، لا يكن في صدرك حرج من إنذار من حاد عنه بقصد أو بغير قصد، عسى أن يعود إلى ربه، ويعود إلى كتابه، إلى الفطرة الرشيدة، إلى الدين القيم، إلى العقل الأسدّ، وذكرى للمؤمنين، فإن الذكرى تنفع المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الذاريات: ٥٥)، وتثبيتًا لفؤادهم، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلًا﴾ (الفرقان: ٣٢)، تثبيتًا للفؤاد عن أن يؤثر فيه ريبة المرتابين، وضغط الضاغطين، وضعف الضعفاء، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٤).

بل لقد حذرنا الله من كتم الإسلام بالعذاب الشديد، وألا نشتري به ثمنًا قليلا، قال عز من قائل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ﴾ (البقرة: ١٥٩)

والعجيب من الأمر، أننا نكتم مافيه الخير والنور والهدى المؤيد بالدلائل

الواضحات، والمعجزات البينات، كيف ذلك؟! بل توعد الله عز وجل هذا الصنف الذي باع آخرته بدنيا غيره، توعده بماذا؟! قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٧٤) ترى هل فقهوا وقدروا ما باعوا وما اشتروا؟! ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ (البقرة: ١٧٥)، أوليس هذا فعل الذين أوتوا الكتاب من قبلنا؟! قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (آل عمران: ١٨٧)

وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله، ﷺ: "من كتم علمًا عن أهله، ألجم يوم القيامة لجامًا من نار"[(١)].

الإسلام الذي يحمد المرء ربه عليه أن ولد مسلمًا، الإسلام الذي حق علينا أن نفتخر ونتباهى به، الإسلام الذي وجب علينا أن نطوف به العالم حتى تستقيم البشرية بعد ضياع، وتهتدي بعد ضلال، وتفيق بعد غفوة، ويصلح حالها بعد طول فساد.

الإسلام الذي حذرنا الله إن تنكبنا عن حمل الأمانة فسوف يأتي بقوم يحملونها ويقومون بها حق القيام، قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ (محمد: ٣٨)، تعالوا لننظر معا إلى صور للحوار، جعلت هذا الإسلام مجالا للحوار على غير ما أراد ربنا سبحانه وتعالى، ومن ذلك ما يلي:

---

(١) صحيح: صحيح الجامع، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني برقم (٦٥١٧)، طبعة المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م

أولاً :حوار الأديان!!

ترى ماذا يقصدون به؟! وما هدفه؟! وما موقف صحيح الإسلام من ذلك الحوار؟! يقولون حوار الأديان!! فأين هذا الحوار من أنهار الدماء التي تنزف في بلاد المسلمين ؟!!

هم يقولون نحن لا نتكلم في نقاط الاختلاف، بل نتكلم في نقاط الاتفاق- على حد زعمهم؟!!

من أجل ماذا؟!

من أجل أن يسود السلام العالمي وينتشر الوئام، وتنقضي الحروب!!!

إذن لابد وأننا سنصحو يوما على وقف عملي للحرب الشرسة على الإسلام والمسلمين، والتي لم تتوقف منذ بعثة الرسول الخاتم، سيدنا محمد !!

بداءة، هل يتفق هذا مع أولى مقومات الحوار؟!

قال العليم الخبير في كتابه الكريم والذي أنزله على الصادق الأمين: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ (آل عمران: ١٩)، وقال تعالى كذلك: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٥) وقال الحق جل شأنه: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ (لقمان: ٢٢) ،وعن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ، قال: "والذي نفس محمد بيده لايسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار"[١]. قال الإمام النووي في شرح الحديث: وفيه نسخ الملل برسالة نبيناﷺ.[٢]

---

(١) صحيح: رواه مسلم برقم (٢٤٠) في كتاب الإيمان/ باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد، ﷺ، إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته.

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق عصام الصبابطي، وحازم محمد، وعماد عامر، طبعة دار الحديث،١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، شرح الحديث السابق.

وإذا ثبت هذا، تعالوا لننظر كيف يكون الحوار معهم من الكتاب والسنة:

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٦٤)، إذن مقصود الحوار، ونقطة الإلتقاء، لا تكون إلا على التوحيد وعبادة الله ﷻ وحده، ونبذ الشرك وعبادة الأرباب والرهبان، فإن أبوا فلنعلنها صراحة، إنا مسلمون، نعم، مسلمون قلبًا وقالبًا، روحا ومادة، شكلاً ومضمونًا، لا نفرط في ذلك قيد أنملة، أم نسينا أن هؤلاء من أهل الكتاب الذين يجب دعوتهم، أم أن الدعوة قد نسخت؟! ولذا قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (آل عمران: ٩٨ـ٩٩)، وقال عز من قائل: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ * يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ٧٠ـ٧١).

ولقد طبق ذلك نبينا محمدﷺ، والسنة النبوية مليئة بهذا، كيف وقد بعث أساسًا لإخراج الناس جميعًا من الظلمات إلى النور، ومن الشرك إلى التوحيد، ويكفي مثالا على ذلك، أنه لما نمى إلى خبره أن غلامًا غير مسلم على فراش الموت أسرع إليهﷺ، كيما ينقذه من نار الجحيم، عارضًا عليه الشهادة، وأبوه حاضر، فنظر الولد إلى أبيه، فما كان من الأب وابنه قاب قوسين أو أدنى من النار، إذا مات على غير الإسلام، فلا وجه حينئذ للجحود وللاستكبار، فابنه سيخلد في نار جهنم إن مات على كفره، فقال له الأب: أطع أبا القاسم، فتشهَّد الغلام ثم مات، فسُرّ النبي ﷺ، واستبشر أيما استبشار، وحمد الله ﷻ أن

أنقذ الله به نفسا من النار[1]، هكذا يكون الحوار، وهكذا يكون موضعه، وهكذا يكون موضوعه.

وإذا كان شرع ربنا كذلك، فإن ما يدعى أو يسمى بحوار الأديان يفتقر لأولى مقومات الحوار، إذ مخالفته لثوابت الشرع جلية واضحة، فمقصود الحوار مع غير المسلمين ليس إلا دعوتهم إلا الإسلام، لا تركهم على وضعهم هذا بدون بيان الحق فيه، وهم أحرار في الإسلام أو عدمه، قال الله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، أما الحوار في غير هذا فلا يسمن ولا يغني من جوع ـ كما سيتضح في ثاني مقومات الحوار ـ بل سيجلب سخط الله علينا، إذ نكون موسومين من قبل رب العزة بالتقصير في البلاغ، وليت الأمر يصل إلى هذا وحسب، ولكنه يتعدى ذلك إلى أمور من الخطورة بمكان، إذ يصبح المرء على هذه الحال وكأن الأمر عاديّ، وكأنهم على الصراط المستقيم، وكأنه لا يوجد دين خاتم، ولا شريعة خاتمة، ولا رسالة عالمية، ولا شريعة عامة، وكأنه لا يوجد ولاء للمؤمنين وبراء من الكافرين، كما نص على ذلك رب العالمين، وكفى بذلك كله مضرة لهم يوم العرض على القهار الجبار، إذ كيف يكون مصيرهم؟! بل كيف يكون مصيرنا حالئذ؟!

ثانيًا: الحوار مع العلمانيين

العلمانيون هم طائفة من الناس همها الأكبر القضاء على الإسلام وأهله؛ فهم ذيول وأذناب المستعمرين في دول الإسلام بعد ما ثبت أن البدء بالغزو العسكري لبلاد الإسلام لا يفلح مع المسلمين، فربوا هذا الطابور الخامس على أعينهم، وأغدقوا عليهم من وسائل التبجيل والتكريم، وأضفوا عليهم هالة من الجلال والتقديس، وقلدوهم المناصب المؤثرة والتي يقاد بها الناس اقتيادا، ولا

(١) انظر الحديث بتمامه في تلخيص أحكام الجنائز، للشيخ الألباني، ص١٢ برقم ١٦، ط المكتب الإسلامي.

تزال تستمر سلسلة هذا الإسناد المدلس، والتي زرع أصلها في بلاد المسلمين إلى يومنا هذا؛ لتؤدي مهمة الاستعمار القديم في ثوب جديد، ولا عجب فهم أفعل أثرًا وأشد فتكًا، وأبعد تأثيرًا، أليسوا من بلاد المسلمين؟! أليسوا يتكلمون بلسان المصلحين؟! وهم ينفثون سمومهم في وسائل الإعلام والثقافة وغيرها بغية هدم الإسلام وأهله.

وتتمتع هذه الطائفة بقدرات فائقة على التلون من النقيض إلى النقيض، فبالأمس القريب كانوا من عباد الاشتراكية، ومنهم من ركع وسجد للشيوعية، فلما دفنت ـ كما هو مآل أي مذهب وضعي ـ سرحوا مع الرأسمالية، لها يتبتلون ويبتهلون، فتراهم يتغنون بالديموقراطية وحقوق الإنسان وحرياته، وهم فيما بينهم لا يعرف لأحدهم حق مع أخيه، يقولون بالديموقراطية، وحتى مع عوارها، ترى ديموقراطيتهم هذه لهم لا عليهم، يحلونها عامًا ويحرمونها عامًا، وصدق الله إذ يقول تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ﴾ (النجم: ٢٣)، وأتعجب!! فما دام الله لم ينزل الله بها سلطانًا أفتتخذونها أولياء من دون الله؟!!

بل ويزداد عجبي!! وكل دارس على يقين جازم بخلل وفساد هذه الأفكار والنظريات الوضعية، والتي بدأت تتساقط وتذبل الواحدة بعد الأخرى، فيشتد عجبي!! بعد بيان الله هذا، وافتقاد السلطان الإلهي لهذه الترهات، والتي يخترعونها الواحدة بعد الأخرى ليلهوا بها المسلمين. إذ تجد طائفة تنساق انسياقًا وراء هذه الترهات، كيف وقد ثبت يقينًا أنها مجرد مسميات يلاعبون بها سذج العقول أمثالنا، فإن أدت دورها في حقبتها، وبحسب التخطيط المرسوم، انتقلوا إلى إله آخر، يغنون له، وبه يتغنون، وينساق فريق من المسلمين وراءهم، فيقولون إن الديموقراطية شيء عظيم، وهى الوسيلة المثلى للحكم في الأرض!! فهل طبقت بين السود والبيض في فى البلاد الغربية؟!! وهل نتج عنها

إلا تشريع اللواط والشذوذ؟!! وهل طبقت على الضعفاء منهم؟!! فكيف بالمسلمين؟!! انتبهوا أيها السادة، أنتم تتكلمون باسم الإسلام!! ومن يتكلم باسم الإسلام كيف ينخدع المرات تلو المرات بمجرد آلهة صنعها القوم بأيديهم، ثم يغيرونها متى أرادوا، وكيف رغبوا، فهم ليسوا إلا عبيد هوى، ولذا أتبع الله ما قيل في الآية السابقة بقوله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ (النجم: ٢٣). إذا كانوا قد أخذوا من بلاد المسلمين بذور التقدم في القرون الخالية، فكان أولى بهم، ثم أولى، أن يأخذوا من منبع هذا التقدم، من الوحي الإلهي، لاسيما وقد وجدوا لدى المسلمين العطاء والإعطاء، لا كما يحجبون عن العالم كله سبل التقدم، رغم أنها من بنات أفكار علماء المسلمين غالبًا، وإذا كان هذا شأن الكافرين دائمًا، الجحود دائمًا، فكيف يكون هذا مسلك المسلمين إزاء هذه الآلهة المفتراة، وقد عقّب الله عزوجل في ظل الآية الكريمة السابقة بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ (النجم: ٢٣).

كيف بنا ـ نحن المسلمين ـ مع وجود الهدى من ربنا تبارك وتعالى أن نسترسل في ترهاتهم التي يؤلفونها تأليفًا، ويسبكونها سَبْكًا، ويعدلونها تعديلاً وفق أهوائهم ومصالحهم!!! ولذا تجدها حيث توافق مصالحهم، وتفتقدها حيث تخالف أهواءهم، ومع ذلك فالمسلمون وراءهم، قالوا يسارًا، فليكن اليسار هو الصراط المستقيم، ثم قالوا ـ على النقيض ـ يمينًا، فاليمين هو الخير المستطاب، وبعد أن بليت هذه الأفكار، وأصبحت تمثل مللاً ورتابة على النفوس، خاصة وأنها قد أدت الدور المرسوم لها في هذه المرحلة، إذ غرقت بلاد المسلمين في هذه المستنقعات الفكرية، التي تخالف أصول الإسلام سياسة واقتصاداً واجتماعًا، حتى تاه المسلمون وراء هذه الأكذوبات، ومن أثر هذا الوحل الفكري ما تراه من أحدهما يجاهر بالعلمانية!! وآخر متأثر بالشيوعية!!

وثالث مفتون بالديموقراطية!! ورابع وخامس وسادس !!! .... إلخ

ولا أدري أنسخ الإسلام؟!! أم أنه إسلام جديد غير الذي أنزل على سيدنا محمد، ﷺ؟!! وسألت نفسي: ترى لو كان رسول الله ﷺ، حيًّا أكنا نسمع هذا الهراء، أم أنهم سيتبعون آلهتهم التي يقتاتون من ورائها؟!!

وتعالوا لنسأل: هل الإسلام يقبل فصل الدين عن الدولة؟!!

هل الإسلام يحرم الملكية الخاصة؟!!

هل الإسلام يترك للفرد أن يحلل ويحرم كيفما شاء، وكأنه يسلب الله ﷻ خاصة التشريع؟!!

وإذا كان البعض يتبع هذه الأمور، فماذا كان يتبع تفصيلها؟!!![1]

وبعد أن أشربت بلاد الإسلام هذه الترهات، جاءت أسماء جديدة تناسب طبيعة المرحلة الحالية بحسب التخطيط المرسوم، مثل، العولمة، والكوكبية........ إلخ

اربط بين هذا، وبين ما يجري على الواقع المعاصر من تفتيت للدول الإسلامية الواحدة بعد الأخرى، لطالما حُذِّر منه ولا مجيب، فستدرك هنالك كم السذاجة التي يعاني منها المسلمون، بل وللأسف بعض علمائهم، ومع ذلك فإنه مما يجعل الأخرس ينطق، أنك ترى التبريرات والتحليلات التي لا توافق كتابًا ولا سنة، والتي تحاول أن تجد مواقف فردية أو غيرها ممن لا يملكون من الأمر شيئًا وتسير وراء هذه الترهات، أما يكفيكم وحي ربكم؟!! أما تتدبرون الواقع الأليم؟!! أتنتظرون أن يأتوا إليكم ويعلنوها صراحة: إننا نحاربكم؟!!

---

(١) تلكم هي مجرد إشارات سريعة لفساد هذه الأطروحات، والتي ليس هنا مجال تفنيدها، ومن شاء فليراجع المراجع المختصة بذلك.

بل قالوها صراحة في كتبهم وإعلامهم، فماذا بعد الحق إلا الضلال، أفلا تعقلون؟!!

إن العبد، وهو يصدق ربه، يسجد لله تعالى شكرا أن بسط لنا قراءة عقول الآخر لنستبين سبيل المجرمين، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ (الأنعام: ٥٥).

إذن، من أجل السيطرة النهائية على العالم نسجت هذه المصطلحات، ومن أجل تدشين آلية متجددة للاستعمار ـ كما كانت، ولا تزال ـ كانت العولمة وغيرها.

ومن هنا يأتي الدور الحيوي والمتجدد لمثل هؤلاء العلمانيين لتسمع طنينهم ترى ماذا يقولون؟!!

كيف نستطيع أن نقف أمام هؤلاء؟!!

كيف نغلق على أنفسنا الباب وقد أصبح العالم كله قرية واحدة؟!!.... الخ

أما حديثكم عن النصر فله رجاله الذين يعملون له لا عليه!!!

والحاصل أن هؤلاء هم العلمانيون، وهذا هو هدفهم، وتلك غايتهم، والسؤال الآن: هل يتصور من هؤلاء قول الحق؟!

هل يتصور ممن يحارب الإسلام ليل نهار، وبغير وسيلة، وفي كل نطاق، وعبر كل الجبهات، ويقتات من وراء ذلك، أن يكون وقّافـًا عند الحق، مجتنبًا للباطل؟!!

إن ما أعنيه من ذلك كله، أن التحاور مع هؤلاء ممن يتمسحون بالإسلام، لابد، بداءة، أن يكون حافظًا لثوابت الشرع، ومحافظًا على نصوصه، منطلقًا من أصول الإسلام، دونما نظر لزخارف ادعاءاتهم، والتي ليس لها من نصيب

على أرض الواقع، وإلا فأين هم من المسلمين الذين يذبحون في مشارق الأرض ومغاربها كالنعاج؟!!

فيا من تحاورون، انظروا من تحاورون؟!

إن القضية ليست في مجرد شبهات تفند، فهذا واجب بلا شك، لكن الجلوس معهم مرات ومرات، رغم دحض حجتهم، وإبطال مستندهم، بل يصل الأمر إلى ترديد أقوالهم، وكأن الأمر أنهم يأخذون من دعاة الإسلام وعلمائه كل يوم أرضًا جديدة، رغم أنهم غير معترف بهم من الأساس!!!

كيف نحاور من يطعن في دين الله ﷻ وهو لا يستطيع قراءة بضع آيات من القرآن الكريم؟!

كيف نحاور هؤلاء وهم لا يرتضون أساسًا بثوابت الشرع وأصوله؟!!

هؤلاء أساسًا لاحق لهم في الحديث باسم الدين، وإذا كان قد بسط لهم ذلك من قبل الداخل والخارج، وهم ليسوا أهلاً لذلك، فليس معنى هذا أن نفتح لأمثال هؤلاء بابًا جديداً يتصيتون منه، ولعل مما يدعو للغرابة أنهم يجعلون من يناقشهم يدور في حلقة مفرغة؛ إذ يفترضون افتراضات غير واقعية، تقوم قيامتهم ولا يسمحون بها. ومع ذلك تجد البعض ينساق وراءها، أفلا تفقهون؟!!

إن الرسول ﷺ، وهو في قمة الاستضعاف مع أصحابه الكرام، ومع شدة الإيذاء وتنوعه، وقسوة المحاربة وضراوتها، وفي كل ميدان، من سياسية واقتصادية واجتماعية وإعلامية وأمنية، ومع سياسة الترغيب والترهيب، وتوالي العروض عليه النبي ﷺ، لم يتنازل قط عن ثوابت الدين، ومن ذلك لما عرضوا عليه الإيمان بآلهتهم سنة وبالله سنة ، رفض ﷺ، رفضًا قاطعًا، وفي ذلك أنزل الله تعالى سورة الكافرون، قال تعالى﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ * لَآ

أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۞ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۞ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۞ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۞ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴾ (الكافرون : ٦)

كان أولى بالنبي ﷺ، لو فكر تفكير البعض، وحاشاه، كان أولى به وهو يرى حالة الدين عامة، وحال أصحابه خاصة حالئذ، أن يتنازل عن هذه، ويتعاون مع هؤلاء، ويُرخِّص مع أولئك، لكن القضية تخص أصول الشرع، ثم إنه يعلم علم اليقين أن من يحاربه لايرضيه إلا إنهاء دعوته، إن عاجلاً أو آجلاً، ولو بقتله، وقد حاولوا، فهل يتركون من هو أدنى منه، أفلا تذكرون؟!!

وأخيرًا أقول أما آن للحوار مع هؤلاء أن يتوقف معلنا تميز الإسلام عن كل المذاهب الوضعية التي تخالف أساس الدين، كيف وقد صدرت ممن ليس أهلا لها، أما عن جدوى الحوار معهم، فذلك خاص بثاني مقومات الحوار، كما يلي:

ثانيًا: أن يؤتي الحوار ثمرته:

قد يحظى الحوار بالاتفاق في الرأي فلا يكون ثمة خلاف، وهو أمر وارد، وهذا لا مشكلة فيه، لكن غالب الحوار يعتريه اختلاف الآراء وتعارضها، وحيال هذا الاختلاف لا بد أن نكون بين حق وباطل، قال تعالى: ﴿ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴾ (يونس: ٣٢)، إذن هناك حق وضلال لا ثالث بينهما، إذ لا يعقل أن يكون الرأي وضده صحيحين، فإما أن تصيب الحق، وإما أن يكون رأيك على الضلال.

وهذا الأمر ثابت كذلك في الخلاف الفقهي، بل ومن رحمة الله عز وجل في هذا الاجتهاد أن جعل المجتهد مأجورًا على كل حال، ولو لم يصب صحيح الرأي إزاء بذله جهده في الوصول إلى الحق، كيف وقد كانوا من أهل العدالة والتقوى، لكن أجره ينقص عمن أصاب الحق، فهذا الذي أصاب له أجران؛ بخلاف المخطئ فله أجر واحد، وذلك انطلاقًا مما ثبت عنه ﷺ، من قوله " إذا

حكم الحاكم فاجتهد فأصاب الحق فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد"[1].

وإذا كان هذا الاختلاف يسري في الخلاف الفقهي، فهو أحق أن يكون فيما هو متوهم الخلاف أو ظاهره الخلاف، والذي يكون فيه أحد الرأيين قد وافق الحق، والآخر قد جانبه نتيجة استناده لدليل مرجوح أو حديث ثبت ضعفه، أو استناد الأول لحديث لم يصل للثاني، أو غير ذلك مما يرجح أدلة الأول، لاسيما وقد دحض أدلة الخصم المتوهمة، وقارعها الحجة بالحجة، وأتى عليها بسلطان مبين، فهل بعد ذلك يكون ثمة حجة لمحتج؟!

فكيف إذا جمع أحدهم الشرق بالغرب خالطًا بينهما، كهؤلاء العلمانيين، كيما يكتمل بنيان دليل، وأخذ يلزق هذا بذاك، ويركب هذا فوق ذلك، لاويًا أعناق النصوص، متأولاً في غير تأويل، مجتهداً مع وجود النصوص، رادًّا لوحي السنة، مخترعـًا لفقه مهلهل ما أنزل الله به من سلطان، متشبثًا بموضوع وضعيف الأثر، وبعد هذا الهراء، تفند له أوهامه، ويطرح له بنيانه المتهالك، ويقرع له بيته المتهاوي، فلا يبقى له من حجة إلا الهوى، ولا يتبع من دليل إلا العناد، فماذا يجدي الحوار مع هؤلاء؟! وهل تكون له ثمرة؟!! ولذا قال الله تعالى: ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ (الحج: ٦٨)، إذ لم يبق في الأمر ثمة حوار، بل جدال ومراوغة لعدم قبول الحق بعد وضوحه، ورحم الله الإمام الشافعي، الذي كان يدعو أن يأتي الحق على لا نجد لسان خصمه، واليوم، فإن الحق أبلج وأوضح من الشمس في رابعة النهار، ولكن نجد إلا الجدال والعناد.

---

(١) صحيح: صحيح الجامع برقم (٤٩٣)

أما ما يسمونه حوار الأديان، فهل يؤتي ثمرته المرجوة حتى و لو لم يكن على إطار الشرع ـ كما تقدم؟!

سنتحاور ـ جدلاً وافتراضًا ـ على إقامة العدل والسلام وإشاعة المحبة والوئام . . . . الخ

لكن هل تحقق ذلك كله يومًا واحدا للمسلمين في هذه العصور؟!!!

بل وهل تقدرون على تحقيقه عملاً؟!!

من الذي منه يتحقق الظلم والتجبر، أهم المسلمون الذين يذبحون كالنعاج في كل مكان؟!!!

المسلمون الذين لا حول لهم ولا قوة!!!

المسلمون الذين تسلب أراضيهم عيانا بيانا دون صوت لحق أو وخز لضمير حي!!

المسلمون الذين يقتل أطفالهم وترمل نساؤهم وتهتك أعراضهم بلا ذرة لحياء أو إنسانية!!!

المسلمون الذين يدفن رجالهم دفنًا في مقابر جماعية!!!

المسلمون الذين اغتصبت ثرواتهم في كل مجال!!!

المسلمون الذين تجرب فيهم الأسلحة كالفئران!!!

المسلمون الذين يعدون أكبر مصرف للسلع الاستهلاكية وغيرها بعد أن أخذ أولئك منهم الخامات وأعادوا بيعها لهم مصنعة!!!

المسلمون الذين يفرض عليهم أن يبقوا تحت وطأة الاستعمار في كل ميدان!!!

المسلمون الذين إن أرادت إحدى بلادهم الاستقلال بدينها تقوم الدنيا ولا تقعد، وإن أرادته إحدى دول الكفر فتطبخ لها القرارات طبخًا وتنفذ في أيام معدودات تحت راية منظمة الأمم غير العادلة!!!

وصدق من قال[1]:

أنى اتجهت إلى الإسلام في بلد تجده كالطير مقصوصًا جناحاه
كم صرفتنا يد كنا نصـرفها وبات يحكمنا شعب ملكنـاه

ترى.. هل ستنتهي الحرب المستعرة ـ ضد الإسلام وأهله؟!!

هل سينتهي التبشير في كل مكان؟!!!

ألقوا نظرة واحدة على حال المسلمين في بقاع العالم، وتكلموا بعدئذٍ كلمة عدل وإنصاف.

وإذا كان هذا كله لن يحدث، فما فائدة الحوار؟!! وما جدواه؟!! وما ثمرته؟!!

أهو تبديد للطاقات العاملة وتحويلها عن غير مسعاها؟ أم هو تمييع للقضايا؟ أم هو استهلاك للأوقات أم .... الخ؟!!

والله الذي لا إله غيره، لن يسكتوا عن قتالنا، وبكل وسيلة، ولو عبر الحوارات المزعومة تلك، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ (البقرة: ٢١٧)، يا علماء الإسلام، أليست هذه صيغة المضارع التي تفيد التجدد والاستمرار؟!!

إذن القتال دائم ومستمر، ولو رغمًا عن أنفنا، ولو قدمنا لهم كل ما يريدون، ولو سرنا في ركابهم، ولو حسنت نيتنا، ولا، ولن يتوقف إلا في حالة ردتنا عن ديننا، وأول باب الردة نبذ أصول ديننا وثوابته، والتمييع بين الحق والباطل، بين الإيمان والكفر، ولا أحسب أن المسلمين يتناسون قول من يخرج ما تكتمه الصدور، قول ربنا تعالى: ﴿ **وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ**

---

(١) شعر محمود غنيم من ديوان "صرخة في واد"، راجع رائق الشهد من شعر الدعوة والرقائق والزهد، والإسلاماه، جمع وترتيب الدكتور/ سيد حسين العفاني، الناشر مكتبة معاذ بن جبل، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ (البقرة: ١٢٠)، هنا ستنتهي تلك الحوارات المزعومة، وكيف لا تنتهي وقد أصبح الباطل حقًّا والحق باطلاً، فهل من مصدق لكلام ربنا؟! هل من منفذ لنصيحة ربه؟!

وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ * فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ * وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ * وَهُوَ يَخْشَىٰ * فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴾(عبس: ٥ ـ ١٠).

نخلص مما تقدم، أنه وحتى لا نكون بين العبث والسدى أو السراب والهمل في أعمالنا، لاسيما في دين ربنا، فلابد أن يكون مآل الحوار الوصول إلى الحق، وإلا فإننا نكون كمن يحرث في الماء، أو يتوهم السراب ويعيش الخيال!!!

المبحث الثانى

شروط الحوار

بعد الارتكاز على مقومات الحوار كمعول أساسي للحوار، فلا نتحاور فيما يخالف ثوابت الشرع، على أن يؤتي الحوار ثمرته المرجوة منه، تأتي شروط الحوار، وهي كالتالي:

أولاً: عدم مصادمة الكتاب أو السنة

ثانيًا: الموضوعية

أولاً: عدم مصادمة الكتاب والسنة

يأتي عدم مصادمة الكتاب أو السنة كأول شرط للحوار، حتى يكون حوارًا له قيمته ودوره في خدمة الفرد والمجتمع، إذ إن ثمة مصادمة للوحي تعبر عن خطأ في الحوار لا بد أن يوجه وجهته الصحيحة.

وقد يعتقد البعض أن هذا الشرط هو محض تكرار للمقوم الأول من مقومات الحوار، والأمر على غير ذلك، إذ المقصود هنا عدم معارضة نصوص الوحي، ولو في غير ثوابته، أما المقومات فهي المرتكزات الأساسية التي تنفذ من خلالها إلى الدائرة الأضيق، فعدم مخالفة ثوابت الشرع، لا تسيغ البتة عدم مخالفة باقي نصوصه. وأعتقد أنه لا بد من هذه التفرقة؛ إذ لها مدلولها على أرض الواقع، فشتان من يضرب جذور الشرع وثوابته، ومن يخالف نصوصه. فالأول مقصده هدم الإسلام وأهله، والثاني اجتهد فخالف سواء دون قصد أو لهوى في نفسه، والأول يطرق الخط المميز بين الإسلام وغيره، والثاني هو في دائرة الإسلام. ثم إني قصدت من ذلك أن من يطعن في أصول ومقومات الإسلام لا سبيل للحوار معه ـ إن كان مسماه مسلمًا ـ إلا أن يذعن لدين ربه، أما أن نتحاور معه فذلك يكسبه اعترافًا لا يجد نظيره. وليس معنى ذلك ، كما تقدم،

ألا نبطل حججه، كيف وهي من بنات أفكار المستشرقين، فإبطالها شيء، ويكون بغير وسيلة دون أن نرفع من شأن هؤلاء، وهم لا يعرفون قراءة بضع آيات أو أحاديث قراءة صحيحة، ونتحاور معهم، أما من تنكب السبيل بهم في اجتهادهم، فسلطان الحق قاهر لمعارضيه، ولم يبق بعد ذلك إلا إذعان لحق أو اتباع لهوى، قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص: ٥٠).

والمقصود بعدم مصادمة الكتاب والسنة، ليس عدم مخالفتها أو معارضتها فحسب، بل كذلك كل مصادمة لمصادر الفقه ـ وإن كانت فرعية ـ كالمصلحة المرسلة، إذ لا يجوز الادعاء بوجود مصلحة مرسلة رغم عدم توافر شروطها.

ويخرج من هذا الباب ما هو محل الخلاف بين أئمة الإسلام مما يتسع فيه الخلاف، لوجود أسباب للخلاف قائمة، كما هو جلي واضح في الأحكام العملية، إدراك المأموم للإمام في الركوع، وهل تحتسب له ركعة أو لا؟ والجهر بالبسملة من عدمه، ووجوب الزكاة في حلي المرأة، وفرضية النقاب واستحبابه ... إلخ.

وسبب وجود هذا الخلاف عامة أن أسبابًا منه لا زالت قائمة، كاختلاف الاستنباط من النص والنظر إليه، واختلاف العلماء في الحديث المستند إليه بين مقبول ومردود، ولاتساع المعنى في اللغة كالقرء، إذ يعني الطهر، كما يقصد به الحيض، إلى غير ذلك مما هو ليس محل استقصاء في هذا البحث.

ولذا فيكون التعامل الأمثل في هذا الخلاف على نحو ما فعل أئمة السلف، وكما قال غير واحد من الأئمة "رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب"، مع احترام أدب الخلاف واتباعه، وللأسف الشديد في عصرنا يرجح البعض أحد الآراء ويصعد به إلى السماء، وكأن المسألة قطعية لا

خلاف فيها، ويرمي غيره بالقصور والجهل واتباع الهوى وغير ذلك مما لم يكن من هدي النبيﷺ. بل، ويعرض الأمر أمام العامة على هذا النحو، فتجد العوام في تخبط دائم بين تأييد هذا الرأي ومعارضته، ويضرب بعضهم ببعض. ولا يسلم العلماء من ذلك، فتدور حروب ضروس مع غير عدو، وفي غير جدوى، إذ الخلاف قائم وسيظل إلى قيام الساعة، مما لازالت أسبابه قائمة، والصحيح أن يقال "أصح الآراء بالنسبة لي كذا أو أرجحها كذا"، لا سيما وأنه لا عقاب على مختلف فيه مما لازالت أسبابه قائمة.

بيد أن المراد من هذا المبحث، أقصد عدم مصادمة الكتاب والسنة، ما هو متوهم الخلاف أو ظاهره الخلاف، ولكنه عند التحقيق ليس بخلاف، بل هو رأي صواب، وآخر خطأ، وهذا أمر من الخطورة بمكان، إذ راق لكثير من المتساهلين، تحت دعاوى شتى، كلما وجد تعدداً للرأي في مسألة أن ينسبها للنوع السابق الخاص بالخلاف الحقيقي، ويجري عليها ما جرى عليه، فيختلط الحابل بالنابل، ويضيع الشرع من وجه جديد بسبب تساهل أبنائه في غير محل تساهل، لاسيما وأن أكثر أمور الفقه كذلك، بل وهذا منثور لا بين المذاهب المتعددة فقط، بل في طيات المذهب الواحد، بل أكثر من هذا لو رام لك الحصول على أي رأي تريده ستجده موجوداً، بل ومنسوبًا لغير إمام، ولا يهم عند هؤلاء إن كان خطئًا أو شاذًا أو مرجوحًا، ولو درس وحقق المسألة لوجد أن كثيراً مما يزعم فيه الخلاف ليس بخلاف. والأمر يحتاج إلى نية خالصة وتجرد للحق وترك داعي الهوي، والاحتكام لصحة الأدلة وعدم التأثر بضغط الواقع أو الترخيص للناس فيما لا يكون فيه رخصة بزعم التخفيف عنهم أو لأنهم ليسوا على الجادة، أو إبداء تلك الآراء نتيجة للافتتان بالحضارة الغربية وما هو سائد في العالم المعاصر، وكأن ذلك هو الوحي الجديد الذي يجب أن نلوي أعناق النصوص له، ونحملها فوق ما تحتمل، ونوجد له التبريرات، ونبحث عن رأي

فقهي قال بهذا، وستجد. وهذا هو محك الأمر، وهذا هو ما انجرف إليه كثير ممن يفتون الناس في أحكام دينهم. ولو راجعت جمهرة آراء العلماء المحققين في هذه المسائل، لتجد العجب العجاب! إذ المسألة قتلت بحثًا، وهم بلاشك أفضل منا علمًا وعملاً، وليسوا واقعين تحت الضغوط المعاصرة، أيعقل أن يسير علماء المسلمين طيلة أربعة عشر قرنًا على الخطأ؟! بالقطع لا يرضى الله بذلك، ومثال هذا ما اختطت فيه الحضارة الغربية طريقًا مخالفًا لطريق ربها، ومن ذلك كثير من الأمور المتعلقة بالمرأة، كعملها وتوليها الولايات العامة.

- آلله الذي حفظ القرآن وما فيه يترك علماء المسلمين أربعة عشر قرنًا على الخطأ؟!
- المرأة التي لها أحكام خاصة في التشريع الإسلامي، يفعل بها مثل ما تفعلون أنتم!
- ولو أن الغرب ما فعل هذا، لم نكن لنجترئ على أن نفعله، ولكنه الافتتان بالغرب!
- وإن تعجب، فعجب قولهم! قولهم إن آية ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ (الأحزاب: ٣٣) خاصة بنساء النبي ﷺ دون نساء المؤمنين!!

إذن، تكملة الآية: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ (الأحزاب: ٣٣) خاصة بنساء النبي ﷺ كذلك فقط!! ولماذا هذا فحسب؟ بل أي أمر موجه إلى النبي ﷺ خاص به كذلك دون المؤمنين!!

فهل هذا يرضي الله ورسوله أم أن الأمر أننا لسنا إلا أسرى لأفكار الغرب؟!

المرأة التي جعل رسول الله ﷺ صلاتها في حجرة داخل بيتها أفضل من صلاتها معه، يبيحون لها الاختلاط وتولي القضاء، بل واشتطّ البعض، فجعل

لها رئاسة الدولة رغم مخالفة النص في قوله ﷺ "لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة"[1]. ناهيك عن خرق الإجماع بعدم جواز توليها الرئاسة العامة للدولة.

- المرأة التي أمرها الله عز وجل بغضّ البصر وعدم الاختلاط بالرجال تبيحون لها ذلك ! !
- المرأة التي جعل الله شهادتها على النصف من شهادة الرجل، أتتولى القضاء؟ !

المرأة التي تحيض وتحمل، وخلقها الله على خلقة تغاير الرجل كيما تتناسب مع مهمتها العظيمة التي لن يفلح الرجال في القيام بعشرها، تنكسون فطرتها رغم أن النصوص واضحة جلية بينة لا تحتاج إلا إلى التطبيق لا التأويل في غير موضعه.

وحديثًا، أصدر الرئيس الأمريكي في عام ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م قرارًا يمنع اختلاط البنين والبنات في المدارس الأمريكية، فكيف يتم الاختلاط في غيرها؟!! وما موقف الذين يبيحون هذا بعد ذلك القرار؟! !

ثم إن الواقع الغربي خير شاهد على ضعف ما وصل إليه خصوصًا فيما يخص المرأة، كيف وقد جعلها سلعة مبتذلة رخيصة هينة لكل ساقط ولاقط، وبدأوا يرجعون ثانية إلى الحق!

ونعود قائلين إن المسألة ليست مسألة معاصرة كزرع الأعضاء وغيرها، ومادامت كذلك، فلا يعقل أن يترك علماء المسلمين طيلة أربعة عشر قرنًا من الزمان، وبعد ذلك يوسم من يحرص على الحق بالجمود والتخلف، ومن أهل الإسلام؟ فهل هؤلاء الأئمة الأعلام السابقين كذلك؟! !

---

(١) صحيح: رواه البخاري برقم (٤٤٢٥)، كتاب المغازي - باب كتابه ﷺ إلى كسرى وقيصر.

ثانيًا: الموضوعية

والمراد بالموضوعية في الحوار ثبات المعايير التي يحتكم إليها في الحوار، واطرادها على مفرداته، بحيث لا نأخذ في جزئية بمعيار، متى وافق ما نصبو إليه، ولا نتحدث عنه حال مخالفة ما نريد، وبالأحرى أن يكون ثمة مكيال واحد يسري على كل مفردات الحوار.

ومبعث عدم الموضوعية غالبًا هو عدم التجرد للحق والحياد له، والتعصب إزاء فكرة أو رأي أو نتيجة معينة، وليِّ أطر وأدلة مضمون الحوار ونحوها، ورحم الله علماء الإسلام قاطبة حينما صدَّر كثير منهم مصنفاته بما رواه عمر بن الخطاب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه"[1]. ولو تجرد الناس للحق بعيدًا عن نزعاتهم وأغراضهم، لهداهم الله إلى الحق اهتداءً.

ومن صور الحوار الديني التي تُفتقد فيها الموضوعية الحوار مع أعداء السنة النبوية المشرفة؛ إذ لما أنزل الله الكتب السماوية السابقة على أهل الكتاب، قاموا بالتحريف والتغيير والتبديل وكتم ما أنزل الله عز وجل. وإزاء ذلك، ولأن الرسالة المحمدية رسالة خاتمة، فقد تولى الله ﷻ حفظ كتابه، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(الحجر: ٩). ولما كان لا مجال لرد القرآن صراحة وعلانية، لاسيما وأنه حمال ذو أوجه، جاء الطعن على السنة

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (١) في أول كتاب بدء الوحي، راجع فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ بن حجر العسقلاني - طبعة دار الحديث - الطبعة الأولى - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م - المجلد الأول.

(١) في الإمارة، باب: قوله ﷺ إنما الأعمال بالنية.

النبوية المطهرة، سبحان الله! وكيف يتولى الله حفظ كتابه ثم لا يحفظ ما هو مبين ومؤكد له، أقصد السنة النبوية، لا سيما وأنها قد تنشئ حكمًا جديدًا ليس في القرآن كتحريم الجمع بين المرأة وأختها أوعمتها، وتحريم لبس الحرير والذهب على الرجال وغير ذلك. ورغم أن الدارس لتاريخ السنة النبوية ليجد العناية الفائقة في تحرير وتحقيق تلك السنة، بل انظر إلى مصنفات السنة لتجدها أكثر من مصنفات ما ورد في تفسير القرآن الكريم وما يتصل به، فالسنة النبوية قد لاقت أتم تنقيح، وأتم فرز وبيان المقبول والمردود على أحسن توثيق بما لا يشهد العلم ولا العالم مثله في أي علم، حتى صنفت عشرات المصنفات في أبواب علوم الحديث ومصطلحه.

ورغم ذلك، بات المستشرقين يقذفون باطلهم وصولاً لرد السنة المطهرة، واختطّ البعض طريقهم، والعجيب أن كل ما أثير من ترهات حول السنة النبوية قد أشبع ردًا، وقتل بحثًا، وحينما يبتليك الله بمحاورة أحد هؤلاء فسترى فقرًا في العلم، وسطحية في التفكير، وضمورًا في الفكر، وافتقادًا لأية موضوعية، إذ سرعان ما يتجرأ أحدهم على رد صحيح السنة بزعم أن الحديث لا يوافق عقلهم!! فإذا سألته في تخصصه لنحتكم إلى معيار موضوعي ثابت، فإن كان من أتباع القانون الوضعي، وقلت له: أما تتبع قواعد أصول القانون وتطبقها على مواده فيسارع قائلاً: بالطبع نعم. إذن، تعال لنحتكم لقواعد صحة الحديث من عدمه، فلا يكون منه إلا اللاءات!! أليس لكل علم أصوله؟!! لا، هم يحلّونه في القانون، ويحرمونه في الشرع!! ثم، لو تطرقنا لمتن الحديث وموضوعه، فسترى سلطان الحجة قائمًا فيما سطره العلماء في الرد على ما لا يعجب هؤلاء، وتلكم هي الحقيقة. والحقيقة إنهم لا يبحثون عن الحقيقة. فالمسألة ليست حديثًا صحيحًا أو ضعيفًا، وإنما المسألة أنهم لا يريدون الحق الذي فصّلته السنة، وقلّ منهم من يجهر بردّ الحديث، لكنه يتخفى تحت مزاعم شتى، خاصة

وأن الدين أصبح كلأ مباحًا، يتكلم فيه من شاء، بما شاء، كيف شاء، وقتما يشاء، بلا رادع من قرآن أو سلطان، ومما يثير الغثيان أنك تجد أحدهم يحتكم إلى العقل، ووالله لو احتكموا فعلاً إلى العقل، لسلَّموا بالأحاديث تسليمًا، أليس أعقل العقل التسليم بما ورد صحيحًا؟!! يقول: هذا ليس بصحيح، أقول: لنحتكم إلى أصول أي علم يحترمها العقل، لا يريد، ثم تشبعه ردًّا بنقولات وردود العلماء في الصغير والقطمير من هذه الترهات، ثم لا تجد إلا المكابرة والعناد، فهل هذا من العقل في شيء؟!! ولو كانت هناك موضوعية ما حدث ذلك.

ومما يتفطر له الإنسان أنك تجد من جهابذة العلماء في هذا العصر من يسيرون في ذات الركب في بعض الأمور استجابة للعقل أو للواقع!!! وما حدث هذا في عصر من قبل، وما حدث هذا إلا لفعل غير المسلمين ذلك، سبحان الله!! أأصبح غير المسلم بقوله وفعله مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي حتى نحتكم إليه؟!! كما قبلت آلاف الحديث في ذات الكتب، ولذات المحققين، وبذات المنهج العلمي، فلم نترك بعضها؟

كيف، وقد أشبعت كل الأحاديث ردًّا من قبل بطون العلم وعلمائه؟!!

هل أخطأ كل العلماء الفحول السابقون الذين كان يضرب بهم المثل في حفظ آلاف من أسانيد الأحاديث، ناهيك عن متونها وبرواياتها المختلفة، ومنهم الحجة والحافظ والمحدث وأمير المؤمنين في الحديث؟!!

هل هؤلاء كلهم مصابون بالجمود. والتحجر وعدم الواقعية والنظر بسطحية إلى النصوص، على مدار أربعة عشر قرنا من الزمان؟!!!

أليست الموضوعية أن نطبق المعيار ذاته على كل الأحاديث؟!!

المبحث الثالث

آداب الحوار

للحوار آداب أساسية، يجب التزامها واحترامها؛ إذ بها يحقق الحوار أهدافه ونتائجه، ويكون على خير صورة وعلى أتم وجه، وإن لم يتلاق الطرفان على كلمة سواء، فإن اتحدت كلمتاهما فبها ونعمت، ويكون الحوار قد حقق مقصده الأول، ألا وهو الوصول إلى الحق واتباعه، وإن عدم ذلك ولم يتفقا على رأي موحد، فلا أقل من أن يخرج الحوار على صورة طيبة طاهرة لا يخدشه قولٌ أو يخرقه فعلٌ مخالفٌ لآداب الحوار.

وتتلخص هذه الآداب فيما يلي:

أولاً: الإخلاص

يمثل الإخلاص جوهر الإسلام ودعامته الأساسية، كيف وقد جاء في مقدمة ما أمر به البشر قاطبة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ (سورة البينة: ٥)، وقال الرسول ﷺ فيما رواه عنه عمر بن الخطاب ؓ: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه "(١)

وهذا الإخلاص هو عمود الإسلام، به يرتقي الإنسان إلى أعلى الدرجات ويعلو إلى أرفع المقامات، هذا الإخلاص الذى يبتغي به العبد وجه الله في قوله وعمله، في حركاته وسكناته، في كل تصرفاته، هذا الإخلاص الذي به يلفظ

---

(١) متفق عليه :أخرج البخاري (١) في أول كتاب الوحي، ومسلم (١٩٠٧) في الإمارة باب :قوله ﷺ إنما الأعمال بالنية.

العبد كل رياء، ويتجرد لله تعالى، وينسى حظوظ نفسه، ويتمنى لو ظهر الحق أنّى كان، كيف لو رأيته في الحوار! كيف لو كان بين كل متحاورين! كيف لو كان شعار كل متحاور! كيف لو رأيته عملاً، لا مجرد شعارات زائفة أو أقوال ليس لها من نصيب على أرض الواقع! كيف لو تخلى كل محاور عن الرياء! كيف لو تمسك بالإخلاص! كيف لو تجرد للحق كل تجرد، ولو ظهر على لسان خصمه! ورحم الله إمامنا الشافعي والذي كان يدعو أن يظهر الحق ولو على لسان من يحاوره، هنالك ـ وهنالك فحسب ـ يكون نعم الحوار، حوار يكون فيه المثل الأعلى للحوار، حوارٌ فيه التجرد للحق، حوارٌ لا تهارج فيه ولا تخاصم، حوارٌ لا تسلط فيه ولا تقاتل، حوارٌ لا بغي فيه ولا تنافر، حوارٌ للحوار، حوارٌ تستفيد فيه من أدب وعلم المتحاورين، حوارٌ تخرج منه بمزيد علم وتقوى، حوارٌ تعرف فيه الحق وأهله، حوار يُكشف فيه الباطل وحزبه، هذا هو أول أدب للحوار المنشود، هذا هو غاية كل حوار مطلوب، هذا هو مبتغى كل حوارٍ مرغوب، ألا فليلتزم هذا كل محاور كما كنا نرى في الصدر الأول للإسلام، الإخلاص الإخلاص أيها المتحاورون تنجحوا، الزموا الإخلاص تفوزوا، إياكم وعدم الإخلاص إذ هنالك تفشلوا.

ثانيًا: العلم

نعم، العلم ولا غرو أن يأتي بعد الإخلاص، إذ لا ينفع علم بلا إخلاص، ومثله كمثل من صنع طبقًا عظيمًا من الحلوى ثم سكب عليه من الرمل الكثير، فماذا تغني عنه حلواه إذن؟!

والعلم المقصود هو العلم الشرعي، إذ لا يعقل أن ينزل الله وحيه ثم نترك ذلك إلى زبالات البشر وتفكيرهم القاصر، والذي يحكمه الهوى، بل والمصلحة الذاتية، ومن هنا كان كثير التغيير والتبديل، وصدق الله إذ يقول ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤)، بل وإذا كان الحوار يدور في علوم غير

شرعية، فلا بد حالئذ من عدم مخالفة الشرع، ولا أصوله ولا ثوابته، فهذا هو المقصود بالعلم، لا غيره، وفي زماننا هذا الذي انحسر فيه شرع الله عن التطبيق ترى العجب العجاب، ترى العالم تحكمه ترهات وضعية، سواء كانت قوانين أم نظريات أم غيرها، تطبق على العالم كله، الدولة بعد الأخرى، القوية ثم الضعيفة تقليداً، بل والطامة أن تطبق على بلاد المسلمين التي حباها الله بشرعه الحكيم، فبدلاً من أن تريح البشرية من هذه الظلمات الأرضية وتزيحها عنها، إذ بها تقع في أسر هذه الظلمات وأغلالها، بل ورأينا الكثير ممن يلوي أعناق الوحي الإلهي ليًّا، بل ويستشهد بضعيف الآراء ومرجوحها، من أجل ماذا؟! طمعًا في أن ينال شرف التحضر والواقعية والعصرنة، وبعدًا عن التخلف والجمود، بل واتباع أساطير الأولين!!!

كيف هذا يا من حملكم الله الأمانة، وشرفكم بالعلم الإلهي! كيف وقد قال الله تعالى ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ *وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ* إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ (المطففين: ١٠ـ١٣) ماذا قال؟! ﴿أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ (المطففين: ١٠ـ١٣)، وترى العالم كله قد جهز النفير لكل من يذكره بشرع خالقه، ويساعدهم في هذا من فتنوا بالفاسد من الحضارة الغربية، ويا ليتهم استوردوا التقنيات الحديثة كيما تتقدم دول المسلمين، ولكنهم استوردوا كل ما فيه غث، وتركوا السمين، بل وهل يعطوا لهم السمين؟! كلا إنهم يرمون غثهم لكل ساقط ولاقط، بل ولو كان من صميم أفكارهم، فإن الظن لا يغني من الحق شيئًا، نعم ظنهم هذا الذي أورد العالم كله المهالك، والواقع خير شاهد على هذا، ظنهم هذا الذي جعل حاملي ألقاب علمية يفنون أعمارهم في هذه الظلمات! ظنهم هذا الذي عليه تدور الندوات! هذا ما وصل إليه علم الحوار المعاصر الآن ـ إن جاز التعبير بأنه علم ـ وعليه كان لا بد من اشتراط هذا الأدب كصبغة للحوار؛ حتى لا نتخبط

في ظلمات العمه والعمى، ونساعد في استمرار حالة التيه البشري، وحتى تئوب البشرية الضائعة إلى العلم النافع، ومن ثم إلى الحوار المثمر المفيد. ولأهمية هذا، كان رسولنا ومعلمنا الأولﷺ، يدعو الله تعالى ـ العليم الخبير ـ كل صباح بقوله" اللهم إني أسالك علمًا نافعًا، ورزقًا طيبًا، وعملاً متقبلاً"[1]، بل كان صلوات الله وسلامه عليه، يستعيذ بالله تعالى من علم لا ينفع[2].

ثالثًا : حسن الخلق

يتمثل الأدب الثالث من آداب الحوار في حسن الخلق، وهذا الأدب من الأهمية بمكان لا سيما في واقعنا المعاصر الذي انفرط فيه عقد القيم، وبات الأصل في معاملات الناس سوء الخلق، فكيف في حواراتهم!

ولقد حثنا الإسلام على حسن الخلُق أيما حث، بل وفي كل مفرداته، بل لما مدح الله عز وجلّ عبده ورسوله، سيدنا محمد ﷺ، مدحه بعظم الخلُق وحُسنه، قال الله تعالى في محكم التنزيل ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم : ٤)، وإذا كان النبي ﷺ قبل البعثة المباركة قد لقب بالصادق الأمين، فكيف به ﷺ، حال الإسلام، بل ثبت عنه ﷺ، أنه كان أحسن الناس خُلقًا، فعن أنس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ، أحسن الناس خُلقًا[3]، بل إن أثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة هو حسن الخلُق، ثم إن الله عز وجل يبغض سيئ الخلق، فعن أبي الدرداء ﷺ، أن النبي ﷺ قال: "ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلُق. وإن الله يبغض الفاحش البذيء"[4]، كيف وإن أكمل

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١/٢٩٨)

(٢) رواه الترمذي (٥/٥١٩)، وأبو داود (٢/٩٢)

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري في الأدب (٦٢٠٣) / باب: الكنية للصبي، ومسلم (٢١٥٠) في الآداب/ باب: استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله إلى رجل صالح يحنكه.

(٤) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٠٠٢) في البر/ باب: ما جاء في حسن الخلق، وأبو داود(٤٧٩٩) في الأدب/ باب: في حسن الخلق.

المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلقًا، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ، "أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلُقًا، وخياركم خياركم لنسائهم"(١)، وما أحرى المجتمع المسلم أن يتحلى بحسن الخلق، وإذا كان هذا ما يجب على المسلمين في عموم حياتهم، فما أحراه أن يكون في أخص خصوصيات حياتهم، بل والتحلي به. إزاء حواراتهم، لا فيما بينهم وبين أنفسهم فحسب، بل بينهم وبين غير المسلمين، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (النحل: ١٢٥)، فدورك حسن بلاغ في حسن خلق، وهو أدعى للقبول والاستجابة، أما حمل الناس وإكراههم على الحق إكراهًا فليس هذا من أدب الإسلام في شيء، بل هو أدعى للنفرة والنفور، لا سيما وأن الحق أبلج والباطل لجلج، فمع حسن البلاغ وقوة الحجة لم يبق إلا التسليم، فإن أبى فقد ظلم نفسه، وحرم نفسه من النور الإلهي، وعاث في الضلال يرتع فيه رتعًا، وأبت نفسه إلا أن تكون مغلولة أسيرة لداعي الهوى، وصدق الله إذ يقول تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۞ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الفرقان: ٤٣-٤٤)، بل قال الله عز وجل لمن اختط طريق الجدال بديلاً عن الحق: ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (الحج: ٦٨) هذا مع الاستمرار في بيان الحق والثبات عليه، معذرة إلى ربنا ولعلهم يتقون، مصداقًا لقول ربنا سبحانه وتعالى على لسان أهل الحق: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الأعراف: ١٦٤)، هذا هو المأمول في كل حوار، بل ولعلك

---

(١) حسن صحيح: أخرجه الترمذي(١١٦٢) في الرضاع/ باب: ما جاء في حق المرأة على زوجها.

تـرى ذلـك مبثوثًا وبكثرة في الحوارات التي عرضها القرآن الكريم بين أهل الحق وأهل الباطل، فالمقصود بيان الحق واضحًا جليًّا، فلا يكون هنالك عذر لمعتذر، لا المقصـود أن يصـبح الحوار معركة حربية تشتد فيها حلبة الصراع، وتدور بين شـدٍّ وجـذب، وتعلـو فـيها الأصـوات، وتـدخل الشـحناء والبغضـاء بـين المتحاورين، ويسـود فـيها الـتقاتل والتصـارع، والـتهارج والتنافـر، والبغـي والتسـلط، أيـن الحلـم؟! أين سعة الصدر؟! أين الصبر واحتمال الأذى؟! ولو مـع الخصـم الألـدّ الشـديد الخصـومة، وصدق من قال: سل نفسك كم نفرت أناسًا عن دين الله عز وجل؟!

إن حاجتنا لماسّة إلى حسن الخُلق لا سيما في زماننا هذا، والذي ساد فيه الجفاء والجفاف بين الناس، بل ولعلي لا أبالغ إذا قلت إنه استشرى بين الدعاة، أعلم أن الأمر شديد في الداخل والخارج، لكنه كان كذلك على رسول الله ﷺ، وأصحابه الكرام، وقد ضرب لنا رسول الله ﷺ أروع المثل في الدفع بالتي هي أحسن، فما أجدر كل محاور ومتحاور في سبيل الحق، أن يطبق الحق، ومنه حسن الخلق.

المبحث الرابع

عوائق الحوار

الحوار سياج فكري متصل بين الأشخاص، قد يصيبه ميكروب، فيوقف هذا السياج، ويقطع أوصاله، ويشتت تدفقه، ويصل به إلى نقطة اللاالتقاء. وقد يترتب على هذه الميكروبات إصابات أخطر، فتتصدع العلاقة بين المتحاورين، ويتهاوى بنيان ترابطها، فتكون الطامة أكبر. هذه الميكروبات ليست إلا عوائق الحوار، أي تلك الأمور التي من شأنها أن تصل بنا إلى اللاحوار.

وتتبدى أهمية دراسة هذه العوائق، وذلك لكونها توضح الطريق الأمثل للتغلب على هذه الأشواك، والتي لو غاصت في المتحاورين لتحطم الحوار، وإن تحطم الحوار، فحدِّث بما تشاء عن ضياع الأمة، والدين، والدعوة، والتربية، والثقافة، لذا كان لا بد من العروج عليها لتجنبها.

وليس معنى وجود عوائق للحوار، وأننا نتجنبها، أن المراد هو الوصول إلى رأي موحد، وأن نتفق بصدده، فهذا إن حدث فبها ونعمت، لكن المراد، وإن لم تتفق وجهات نظر، فلا أقل من أن يبقى شريان الحوار متدفقًا، ولعل استمرار تياره قد يكون مدعاة للالتقاء فيما بعد.

والواقع أن هذا الموضوع من الأهمية بمكان في عصرنا هذا؛ إذ على المستوى العام قلما تجد حواراً لم يصبه عائق، فكثيراً ما نرى حوارات قد انقلبت إلى ساحات للمهاترات وسوء الأخلاق. بل وللأسف الشديد، قد تجد ذلك بين من يحملون هَمّ الإسلام. وهذا أمر جد خطير، إذ قد ترى من أصحاب القدوة ما يكون سببًا في وصول الحوار إلى طريق مسدود، وهنا لا بد من وقفة. إن

الحوار هو أبسط صور الالتقاء والتجمع، فإن لم نحسن استخدامه، فماذا نحسن؟!!

إذا كنا لم نتغلب على هذه العوائق، فكيف نتغلب على المخططات الجسام الأخرى؟!! إن أي هدف تريده كيما تبلغه لا بد من حوار، ولهذا كان تشريع الشورى في الإسلام، واعتباره أحد أعمدة الإسلام الكبرى في كل مجال، امتثالاً لقوله عز وجل: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، وتخلقًا بأخلاق المؤمنين، الذين قال الله فيهم: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى: ٣٨)، ووصولاً للرأي الأصوب، أو على الأقل إقامة حوار مشترك يحمي الكل من وراء ظهورنا.

أما أن يكون الخلل واقعًا في الحوار، فلا بد من كل منا أن يراجع نفسه، ويقف متجردًا صوب الحق، وليعلم أن ما يصدع جسد الإسلاميين، أيًا كانوا، يصدع جسد الإسلام. كيف لا والكل يشترك في حمل الإسلام على عاتقه، وليكن الجميع على يقين أنك لن تجد من يحمي ظهرك إلا أخيك هذا الذي تطعنه وتلفظ الحوار معه. لا بد أن تعلم أنك به، وأنه بك، وإذا لم يتحقق ذلك في الحوار، فإني أشك كثيرًا في أن تكون العودة لصحيح الإسلام قريبة، إذ لها رجالها، ولا بد أن يكون على نسق طراز رجالها الأُوَل، إن لم يكونوا مثلهم، أما ولم يوجد شيء من هذا، فلنسمع قول الله تعالى فيمن فعلوا فعلنا: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ (البينة: ٤).

كيف هذا؟!!

تفرق بعد مجيء البينات؟!!

تفرق بعد معرفة الحق؟!!

تفرق رغم وجود قرآن واحد، وسنة واحدة؟!!

تفرق رغم أن شرائع الإسلام مبناها على الوحدة والتوحد؟!!

والله إن بيننا لمسافات طوال حتى نصل إلى الحق، ما هذا الهراء الحادث باسم الإسلام؟!!

الأمة تضرب في كل مكان، وبعضنا يضرب رقاب بعض حتى في الحوار!!! أخشى أن نُكتَب من الصاديّن عن سبيل الله بتفرقنا هذا!!! لا بد وأن في قلوبنا أشياء وأشياء!!

تفرق رغم أنك يجب عليك أن تضع يدك في يد المسلم عامة، فما بالك بمن يخدم قضيتك!!!

ماذا طلب الله منا لنفعل هذا؟!!

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ (البينة: ٥). لابد وأن هناك ما يعرقل الإخلاص.

وهذه دعوة للمراجعة، فكم من امرئ تمنى أن يفعل شيئًا لخدمة الإسلام، فلما مُكِّن خذل الإسلام بقوله وفعله، وها هو الله يدعونا قائلاً: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (يونس: ١٤). توليتم حمل الأمانة، وأصبحتم من دعاة الإسلام، فهل تقدم الإسلام بكم أم نبذتم آياته وراءكم ظهريًّا؟!!

إن أشخاصًا لم يستطيعوا أن يقيموا حوارات بينهم لم تصبها العوائق، لأجدر بهم أن يتوبوا إلى الله عز وجل.

نعم، أجدر بهم أن يعودوا إلى قرآن ربهم وسنة نبيهم فعلاً وواقعًا.

أجدر بهم أن يحملوا الأمانة كما حملها أسلافهم، لا أن يضيع الإسلام فيما بينهم، وبسبب أفعالهم.

وبعد، فللحوار عوائق كثيرة، منها على سبيل المثال لا الحصر:ـ

أولاً: الجمود والانغلاق

الجمود والانغلاق هو توقف الرصيد الفكري لدى إنسان، فلا يقبل زيادة أو نقصانًا. والجمود آفة فكرية خطيرة، إذا ألـمّت بفرد أصابته بالعطب الفكري، فليعلم الفرد إن لم يكن في زيادة، فهو في نقصان. ثم إن الفرد مهما كملت علومه، فهو لا يزال فقيراً في العلم، وإن علق الجمود بأمة، فحدث عن ضياعها في الدين، ناهيك عن الدنيا.

وتزداد خطورة الأمر حينما يكون محله في الدين، إذ ترى الفرد جامدًا حول فكرة أو رأي بعينه، لا يرى غير ذلك صوابًا، فتراه قابعًا حول ذلك الرأي وإن ثبت خطؤه ،أو متشبثًا بفكرة دفنت منذ أزمان بعيدة، أو متعلقًا بفرد لحبه أو صلاحه، أو غير ذلك، فيرفع آراءه لمرتبة الوحي الإلهي، فلا ينقد ولا ينقض، وكأنه الرسول المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وهذا يصيب الدين في مقتل، ولا شك. فالوحي الإلهي مجرد عن كل تبعية، فهو متبوع لا تابع، وإذا تعلق الجمود بفكرة أو رأي ليست من الدين، فكبِّر أربعًا على ضياع الدين!!

وهنا لا بد من وقفات ووقفات لنعرف مدى ما أصابنا من جمود أو انغلاق، إذ هذا الجمود، وذلك الانغلاق هو الحاجز الذي حال بين اجتماع الأمة على كلمة سواء.

إن الناظر، بصدق وتجرد، إلى واقعنا المعاصر، ليرى البون شاسعًا والفرق واسعًا بين ما نحن عليه من دين، وما أنزله الله سبحانه وتعالى على رسوله ﷺ، ولست أقصد الكَمّ الإيماني، فهذا يقوله العاميّ قبل العالم. ولكني أقصد الكيف الشرعي، أي الآراء المقولة، والأفعال المعمولة. فلتمدَ نظرة واسعة على العالم الإسلامي لترى طوائف وفرق شتى تتبنى دينًا مشوبًا بما ليس من الدين، هي جامدة على أفكار وأطروحات. لعلك تقلب صفحات مئات الكتب حتى

تجد لها أثراً في عهد النبوة، فلا تجد البتة منها شيئًا، بل ولعلك تفتش عن سبب ذلك. وسألت نفسي: ألم يكن هناك حوارات بشأن هذه الأمور؟ فما وجدت إلا الجمود والانغلاق على هذه الآراء سببًا في هذه الأمراض.

لكن، لماذا الجمود والانغلاق على هذه الرؤى؟!!

لعلك ببحث واستقراء الآراء الموجودة بين العلماء تلاحظ أن هناك شريانًا يمد العوامّ بهذه الآراء الجامدة، وتصيبك الخيبة حينما تجد بعض العلماء يحملون هذه الآراء!!

سبحان الله!! عالم جامد على رأي مخالف للشرع!!

وهذا هو لب المشكلة الأول.. صياغة العقول وتكوينها، إن هذه العقول تربّت على التلقين لا الفقه، تربّت على التقليد لا الاجتهاد، تربت على التبعية الفكرية لا على الوحي الإلهي.

أمور تفشت في الأمة منذ قرون، لو اطلع من يريد الدخول في الإسلام عليها لصدته عنه، لا سيما في عالمنا المعاصر الذي يُحسب للعلم فيه مائة حساب، فهذا مقبور مات نفعل معه فعل الأحياء، أي عقل هذا؟!! بل ويا ليت الحي يقدر عليه!!!

وهذه أمم تجيش لا لتحرير الأقصى الأسير، ولكن ليجتمع الرجال بجوار النساء باسم الذكْر والدين زوراً وبهتانًا!!

وهل اجتمع الرسول ﷺ، مع أصحابه، بالنساء للذكر هكذا حاشاه وكلاّ، ولم نُثبَت ممن رضي الله عنهم كما ثبت للصحابة الكرام، فهل يرضى الله عنا بذ١١ك؟!!

لقد صدر قرار من إحدى وزارات الأوقاف الإسلامية لتخفيض نسبة النذور، وللخليفة، وحامل المفتاح وغيرهم، فقامت الدنيا ولم تقعد!!!

وهل كان الصحابة كذلك؟!!

طبل وزمر والتفات وتمايل، أهذا من حضارة الإسلام التي تقدم لغير المسلمين؟!!

لماذا أرسل الله رسوله ﷺ؟!!

آلله أرسل رسوله أم أرسل أولئك بالإسلام؟!!

فأي إسلام نصدق ونتبع؟!!

ألم يكفكم نهج مَن بُشّر على الأرض بالجنة، ونحن على الأرض والأقصى يشكونا إلى ربه؟!!

ليس العيب الأساسي في الملايين من العوام، لكن في العلماء الذين سيسألهم ربهم سؤال الأنبياء ـ كما قال سيدنا مالك ـ عن الدين!!!

أتراه تقليد للآباء والأجداد؟!!

فمن أحق بالتقليد، الرسول ﷺ أم الآباء والأجداد؟!!

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۗ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٧٠).

من أحق بالعكوف على رأيه، سنة الرسول ﷺ، أم آحاد البشر، ولو كان عالمًا؟!!

ترى ما علاج هذا الجمود؟!!

إن سلطان الحق ضائع بين أهله، لعلك يصيبك العجب، إذ أقوال الرسول ﷺ، وأفعاله موجودة ومسطرة في الكتب. لكن بعضها منبوذ، ومقدم عليه قول لفلان أو فعل لفلان. يا سيدي، أنت احتكمت إلى رسول الله ﷺ، في صلاتك، فاحتكم إليه في كل أمورك، وسل ماذا كان يصنع رسول الله ﷺ في هذا الأمر، بل وفي كل الأمور ـ إن أردت الحق ـ؟!!

أما وقع في شعورك أن الأمر متصل بالوحي الإلهي، بالبيان الأخير الذي أرسله الله للعالمين؟!!

علينا أن نغربل ما دخل على الدين من هذه الأمور التي لا تقيم دينًا ولا تصنع دولة.

وإن إثم العلماء لعظيم، والغريب أنه مع وضوح الحق لا تجد إلا احتكامًا لرأي فلان أو فعله . . إنه الجمود!!!

وأين قول الرسول ﷺ، وفعله؟!!

والبعض يبرر ذلك بالنية الحسنة؟!!

﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الحجرات: ١٦).

لماذا لم يفعلها الرسول ﷺ؟!!

هل قصَّر في البلاغ؟!!

هل نسيها؟!!

أم أنتم أعبد وأفضل منه ﷺ؟!!

أم أفضل من الصحابة، الذين سمعنا عن جهادهم، وما رأينا واحدًا يفعل أو يُفعل به ما تفعلون؟!!

والحاصل أن علاج الجمود بإعلاء شأن الوحي، وكيف لقوم يعلون أقاويل رجالهم على وحي نبيهم، كيف بهم يوم العرض على من أنزل الوحي؟!!

ثانيًا: الهوى

وفي هذا فليتحدث المتحدثون، فالهوى كما هو مانع من موانع الإيمان، فهو عائق من عوائق الحوار، بل هو عائق، وأي عائق!! ولعل سبب ذلك أن مرد الكثير من العوائق إلى الهوى، فهو شر بلية للإنسان، أن يهوى أمرًا على خلاف الحق. فإن كان الشخص من العوام، وقارعته بالحجج تلو الحجج، لم يجد بد من التسليم لذلك على مضض. ثم لا يلبث إن رأى فلانًا يقول بهذا الرأي،

أمسك بتلابيب هذا الرأي كما يمسك الأسد بفريسته، رغم وضوح الحق ظاهراً بينًا، وكم من الحوارات أقيمت، وكم من الندوات نظمت، وكم قيل فيها من حق، إلا أنها قوبلت بالهوى، فكيف لو كان محاورك عالمًا ذا هوى، تراه حينذاك يقلب الحق باطلاً والباطل حقًّا، يستعين بعموم الآراء ومطلقها، وشذوذ الأقوال وأضعفها، وضعاف الأحاديث وموضوعها. فإن حددت هدفك، وأبرزته إبرازًا، وبينته تبيانًا، رأيته يتستر بالواقع، وبوجود الرأي المخالف، وبالتيسير على الناس فيما ليس محله التيسير. والهوى لا يكون إلا مع الدنيا، فبئس ذلك العالم الذي يضيع آخرته بدنيا غيره، بئس ذلك العالم الذي فقد دينه لهواه، بئس ذلك العالم الذي يطوع النصوص لهواه والحكم بيننا وحي الله، وصدق رسول الله ﷺ، إذ يقول: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به"[1].

ويزداد الأمر شرًّا في زماننا هذا، إذ يبسط لكل ذي هوى أن يقول ويقول، في ظل تفشي الباطل، وقلة الحق وأهله، فيظن الناس أن هذا هو الحق المبين، وذلك الشر المستطير!!

وللأسف، قد ترى معارضة الحق من قِبل مَن يحمل همّ الإسلام، وتعرض عليه النص بعد النص، وقول الثقات، وعمل الأثبات، فلا يكون منه إلا كل التفات.

ترى ما سبب هذا كله؟!!

---

(١) راجع الحديث الحادي والأربعين من جامع العلوم والحكم، ص٤٣٤، طبعة مكتبة الإيمان، تحقيق عبدالله المنشاوي.

رحم الله أناسًا كانوا يربون الناس قبل أن يعلموهم الدين، رحم الله أناسًا اهتموا بتزكية النفوس قبل تعليمها الوحي.

لقد أصبح الدين بضاعة الموظفين، ويحمله المرضى الضعفاء، ولواء بعض المنافقين، ويحمله من لم يخلّص نفسه من الهوى المكين، فماذا تنتظر من أولئك؟!!

فهذا يرقص فرحًا بذهب المعز ولو على حساب الدين!!

وذاك زعم أنه من العلماء الصادقين، فقدّم الهوى على الدين!!!

والدين ضائع لا يجد من يحمله حمل الصادق الأمين، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ (الجمعة: ٥)

والعلاج أن للدين رجاله، الذين يجب أن يصنعوا على أعين العلماء الربانيين، وإلا فانتظر الهلاك المبين!!!

ثالثًا: عدم الالتزام بمقومات ولا شروط ولا آداب الحوار

إن الالتزام بمقومات وشروط وآداب الحوار هو السياج الأمين لحفظ كل حوار لبلوغ مقصده وتحقق غايته، فالحوار الذي يلتزم بثوابت الدين، قاصدًا الوصول إلى الحق المبين، غير مخالف لأوامر الحق المبين، والذي سمته الموضوعية، وحليته الإخلاص والعلم، والخلق الجميل، فنعم الحوار هو.

أما أن تجد طعنًا في الدين، وسلوك سبيل الزنادقة المنافقين، فذلك عائق للحوار واضح مبين.

أما أن تجد خُلفًا للنصوص، ومعارضة لها، وبعدًا عنها وتعظيم ضدها، فكيف يستمر الحوار حينذاك؟!!

أما أن تجد التفافًا على الحق، بتبني معيار في رأي ورفضه في آخر، والتزام طريق، هو أول من يخالفه في مسألة أخرى، فأنى للحوار أن يصل لغرضه؟!!

أما أن تجد عدم التجرد للحق، والجهل الفاضح، وسوء الخلق، فكيف يبدأ الحوار من الأساس؟!!

والسؤال، كيف السبيل لملافاة ذلك كله؟!!

بالنسبة للحوار بصدد مقومات الدين، من خلال الهمز واللمز في أصول وثوابت الدين، وهو دأب العلمانيين، وغيرهم من ذي كل ملة ودين، غير دين الصادق الأمين. فبالإضافة إلى عدم استدراج البعض لمثل تلك الحوارات، إذ لا تسمن ولا تغني من جوع كما تقدم. بل، سمعنا مؤخرًا في أحد تلك الحوارات أن ممثل أحدهم يرفض الاعتراف بالإسلام كدين سماوي، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ (يونس: ٣٢). بالإضافة إلى هذا، لا بد من أمر مهم، وهو إفاضة الحديث عن أصول وثوابت الدين، وأن يتشرب بها كل مسلم من مهده إلى لحده. فلقد عمد العلمانيون وغيرهم خلال العقود الأخيرة إلى زعزعة هذه الأصول والأركان لدى المسلمين، حتى نشأت أجيال تحفظ كل ما يتعلق بالفنانين والفنانات، واللاعبين واللاعبات، ولا تستطيع قراءة الفاتحة. نشأت أجيال لا تعرف أصول دينها، ووجدت أجيال عدت أصول دينها من المسائل الخلافية. وفي هذه المسائل الخلافية، لكل مجتهد أجر، وتشربت هذه الأجيال سموم العلمانيين، وإذا بك تفاجأ حال مناقشة أحدهم أنه ليس إلا مسخًا ونسخًا لفكر أولئك الضالين. هذه الخلخلة التي حدثت في أصول الدين، والتشويه الذي أصاب أساس الشرع، كان في ظل غياب كثيرمن العلماء. ولو استقرأت عدد العلماء الذين تصدوا لأولئك العلمانيين، وجزاهم الله كل خير، لوجدتهم قلّة من علماء المسلمين. وهذا أمر بالغ الخطورة، ورحم الله أيامًا كان لا يسمَح فيها لأحد أن يتكلم في دين رب العالمين، في وجود

العلماء الربانيين. رحم الله أيامًا كانوا يهابون الفتيا في وجود الإمام مالك، حتى قيل: لا يفتى ومالك في المدينة. وقوة الآخرين ليست إلا حاصل وتحصيل ضعفنا وتفريطنا، وها هم فحول العلماء الذين ينافحون عن الأمة في كل ميدان، يتساقطون الواحد بعد الآخر، فمن يخلفهم؟! أم مَنْ مسدهم؟!أم مَنْ تكون له هيبتهم؟!!

" لا تسألوا الجاهل لماذا لا يَعْلم، حتى تسألوا العالم لماذا لم يُعَلّم" هذا قول مشهور عن الإمام علي ﷺ. وليس معقولاً أن يتكفل أفراد على صوابع اليدين بالرد، والباقي جالسون كالمحايدين. إن هؤلاء العلمانيين أنفسهم يكتل بعضهم بعضًا، ويجمع بعضهم بعضًا؛ حتى يصلوا لغرضهم. فما أجدر أهل الحق أن ينافحوا عن شرفهم، إذ لا قيمة لهم إلا بهذا العلم، ويومها يعلو شأن الدين ثانية.

ولقد يسَّر الله عز وجل كثيراً من الإعلاميات في هذا الصدد، كفانا كلامًا وأملاً وطموحًا أن تكون هذه الإعلاميات سبيلاً لنشر الدعوة، إذ لا بد من عمل تخطيط مدروس. إن الباطل يستخدم كل وسيلة إعلامية لنشر باطله ، بل وأنشئت قنوات متخصصة لتحسين صورته أمام المسلمين، وتم بثها خاصةً لشباب المسلمين. إن مليارات تُرصد للتبشير في كل مكان، عبر المدارس، عبر المستشفيات، عبر الإعلاميات، عبر وسائل الثقافة، عبر المنظمات والجمعيات الخيرية، وأموال الإسلاميين تصرف في أمور، هناك ما هو أوجب وأمسّ حاجة للصرف فيه منها.

وهذا الكلام كله ليس جديداً، بل يتمنى كل مسلم أن ينال العمل، وبعد تطبيق هذه الأمور، وبذل العلماء ما لديهم في المنافحة عن الدين، واستغلال الإعلاميات في بيان صحيح الدين، لن تجد من العوام من يخلط الأصول بفروع الدين. إن أقاويل العلمانيين مهما تعددت، فهي معروفة محصورة، ولو جمعت

ردود شبهاتهم وترهاتهم، وبثت مراراً وتكراراً، إلى قيام الساعة، وعبر جميع وسائل الإعلام، وباستغلال كل الطرق والوسائل القديمة والحديثة، فماذا يفعل العلمانيون حينئذ؟!! إنهم يتصيدون ترهاتهم لجهل المسلمين، لكن لو أن كل العلماء تكلموا، كلٌ بطريقته، لاستطعنا أن نجمع كل فئات المسلمين في الحصن الحصين. نريد أن نحيي هذه الندوات العلمية التي تثري الفكر، وتحصن الفرد، وتبني الأمة.

إن الأمة بحاجة ماسة إلى العلم، لقد رأيت في بعض دول المسلمين أناسًا يدرسون في بعض المعاهد المتخصصة لدراسة الدين، لا يجدون ما يشترون به كتب دراستهم، والتي هي مفتاح وباب العلوم، فأنى لهؤلاء أن يطرحوا شبهات العلمانيين!!

إن أمة لا تعتني بالعلم، ولا تلتقط الكفاءات، وتهدر شأن العلماء، كيف يعود مجد دينها؟!! ولَحقٌ أن يطعن في ثوابت دينها؟!!

والحديث هذا إلى مَن يحملون همّ الإسلام، فأول ما ينبغي أن ترصد له الأموال، طلبة العلم على مستوى العالم الإسلامي. إن عالمًا واحدًا لو تم تنشئته على الوجه الصحيح، لكفى الأمة الكثير، فهناك رجال بأمة، وواحد بألف، وهناك ألف بخف!!

لقد رأيت العجب من بعض من يحملون هم الإسلام، إذ تنفق الملايين على أمور قد تؤخر الدعوة كثيراً أو أمور لا تمثل شيئًا أمام إنفاقها لاهتمام بالعلم وأهله، بداية بالعلم الديني، ونهاية بالعلم الدنيوي. إن كفاءات المسلمين العلمية تلتقط في كل مكان، ومن أفكارها وعلمها يستأسد أهل الباطل على المسلمين. فهذه هي بداية الطريق حتى لا يوجد حوار يتكلم باسم الدين، وهو ليس من الدين في شيء.

هذه هي البداية لعودة الأمة لمجدها، وذلك ما وعاه أهل الباطل لا من أنزل عليهم في أول الوحي قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ (العلق: ١)، فهل من مدكر؟!!

وما قيل في شأن الطعن في ثوابت الدين، يقال كذلك في عدم مصادمة الوحي الإلهي. إذ عبر الاهتمام بالعلم وبثه ونشره، قل أن تجد من ذلك شيئًا، ويقال كذلك باعتبار العلم من آداب الحوار.

وإذا كانت هذه دعوة لمراجعة بناء المنظومة العلمية الشرعية، فهي دعوة كذلك لإعادة بناء المنظومة القيمية، والتي نفرد عنها الحديث، وذلك لأهمية حسن الخلق، فإن عوائق الحوار قد ألم بها الكثير مما مرضت به النفوس. وإن أردنا حوارات سوية مستقيمة، لا عوائق فيها، ولا موانع، فلا بد من إعادة بث الأخلاق ومكارمها لدى أبناء المسلمين.

إن من الأركان الأساسية التي اعتُمدَ عليها للقضاء على آفة المسلمين بث الانحلال الخلقي لدى المسلمين، فكما أنَ أمة جهولاً لا تقدم ولا تؤخر، فإن أمة ساء خلقها، وضاع بنيانها القيمي لتسقط منذ أن تبدأ. فما استقر بنيان فرد ولا أمة تهلهلت أخلاقها، واسألوا الأندلس!!!

فبعد ثمانية قرون، وما هي بقليل، تحطمت الأندلس على أنقاض التحلل الخلقي.

إن أطفال المسلمين اليوم قد رُبوا على غير مأدبة القرآن، فأصبحت ترى منهم المادية البغيضة، والوصولية المكروهة، والوهن المرفوض، والتميع الساقط، والانحلال بكل صوره إلا من رحم ربي. لقد تفتقت أذهانهم على هذا الجو الملبد بالغيوم و الأعاصير، فأشربوا تلك العجول، بل من المسلمين من يُشرِبها شربًا لأبنائه!!!

والحق أن هذا مما يجعل الحليم حائراً، فالحق وسلطانه غائب، وأهل الحق من الضعف بمكان، وهم أعدم أثرًا إزاء ما يحاق بهم. والمسلمون مسلمون قالبًا لا قلبًا، بل كثير منهم يلفظ هدي النبي ﷺ، لما شرب من آلهة العصر، وينساق بروحه مع الباطل، وجسده مضطر أن يكون مع الحق!! وتلك هي الفتنة بعينها. وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ (البقرة: ١٩١).

ولم يبق من ذلك كله إلا دور العلماء والمربين، ولا سيما الوالدين، فعليهم أن يجاهدوا حق الجهاد، ويتقوا الله حق تقاته في هذه الأمة، وأن يؤدي الكل أمانته، ويسأل الله العون والمدد، فبه يسهل العسير، ويقرب البعيد، ويلين الحديد. ومع الاستمرار على هذا، والحفاظ على سياج الأخلاق لدى المسلمين وأبنائهم بعد أن رأينا الجفاء والفظاظة، والعنف والجفاف، وسوء الظن، وفحش الخلق، ومع رؤية الله لنا كذلك، فقد يمنُّ علينا بالفتح أو أمر من عنده، يعز فيه الحق وأهله، ويذل الباطل وحزبه، وتعود الأخلاق الحميدة والشمائل السديدة.

حينئذ، تحرص حرصًا على سماع الحوار بعد الحوار، كيف وأنت إن لم تستفد علمًا، فكفى بحسن الخلق استفادة.

الفصل الثاني

الحوار في التاريخ الإنساني

الفصل الثاني

الحوار في التاريخ الإنساني

الحوار والإنسان صنوان لا يفترقان، بل وجد الحوار قبل أن يخلق الله الإنسان. ألا ترى حوار الرحمن مع الملائكة بشأن الإنسان. والحوار مادة غناء فكري، لمن أراد الغناء والشفاء، ولا تجد ذلك إلا في الحوارات التي ذكرها الله تعالى في وحيه. فمن تلك الحوارات، تتعلم الدين، تتعلم السنن الإلهية، تتعلم الدعوة، تتعلم التربية، تتعلم كيفية الحوار، تتعلم كيفية مجادلة أهل الباطل. بها تستبين سبيل المجرمين، وتبسط أفكار الضالين، بل بها تتعلم الحياة بأكملها في شتى جنباتها، ولذا لن تجد غيرها قط في هذا السبق.

ولهذا، سنعيش خلال الوريقات القادمة عبر حوارات في التاريخ الإنساني، هي أخصب وأوقع حوارات، أقدمها كيما تستفيد الأمة من هذه النماذج الواقعية العملية، التي لا يختلف الواقع المعاصر عنها إلا في الأشخاص والزمان والمكان. وحاجة الأمم إليها آكد وأشد من البيان النظري، فتعالوا لنتعلم منها كيف يكون الحوار وما يتصل به؟!! ناهيك عن كثير من الأمور الأخرى التي نحن في أمسّ الحاجة إليها، والتي سنذكر أهمها دون إحصائها؛ وذلك لضيق المقام، ولطبيعة موضوع البحث.

١- حوار الله عز وجل مع الملائكة:

فهذا حوار الله عز وجل مع ملائكته بشأن الإنسان، وقبل أن يخلق، يتبعه حوار الله عز وجل مع سيدنا آدم عليه السلام، تعالوا لنستمع إلى هذا الحوار.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى

ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (البقرة: الآيات ٣٠ـ٣٣).

المستفاد من الحوار

١ـ نشأة الحوار قبل الإنسان. فإذا كان الحوار لصيقًا بالإنسان، فهو قد نشأ قبله، وذلك ليدلنا على أهمية الحوار في الدين والدنيا.

٢ـ أهمية الحوار في توضيح الغامض وتعليم المتعلم، وفي هذا ما يدعونا إلى التمسك به، سواءً من العالم؛ إذ لا ينقص من علمه شيء أن يحاور المتعلم. وقد ضرب سبحانه وتعالى المثل جليًّا بحواره مع الملائكة. وكذلك من المتعلم، إذ عليه أن يسأل، وعبر دائرة الحوار، كيما يتعلم، وهو فعل الملائكة.

٣ـ أهمية حسن الخلق في الحوار، إذ قد يتصور المتعلم الأمور على غير حقيقتها، كما تصورت الملائكة أن الإنسان سيفعل فعل الجن من الفساد وسفك الدماء، فتكون الإجابة بحلم دون جفاء ولا فظاظة.

٤ـ بيان نشأة الإنسان والملابسات التي دارت حول ذلك، ودور الإنسان في الأرض من القيام بأحكام ومتطلبات الخلافة في الدنيا.

٥ـ شرف العلم، وشرف سيدنا آدم وما كان له من الفضل من تعليم الملائكة – بإذن الله تعالى – ما لا يعلمون.

٦ـ قدرة الله عز وجل، إذ علم سيدنا آدم، عليه السلام، أسماء المخلوقات قاطبة كلها، فعلمها للملائكة، وفيه بيان أهمية نقل العلم حتى لا يعم الجهل.

٧ـ لا عيب البتة فيمن لا يعلم، أن يقول "لا أعلم"، كما قالت الملائكة. فذلك أوقر، إذ إن التعالم فيه مزيد خطورة على الأمة بأسرها، لاسيما إن

كان في وحي الله عز وجل. ولهذا، كان التشديد والنكير على من افترى على الله الكذب، وتقوّل على الله بغير علم، مما قد ينتج عنه تحليل الحرام وتحريم الحلال.

٢- حوار الله ﷻ مع أدم عليه السلام:

واستكمالاً للحوار السابق، كان أمر الله ﷻ للملائكة بالسجود لآدم، فأبى إبليس، ومن ثم كان حوار الله ﷻ مع سيدنا آدم، فكيف كان؟!!

قال عز وجل: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ * وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ * فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (البقرة: ٣٤-٣٩).

المستفاد من الحوار[١]:

١- إن الإسلام أساسه طاعة الله عز وجل فيما أمر به، بلا روية ولا تفكير، فمادام الأمر من الله عز وجل، فما على العبد إلا التنفيذ. وانظر سجود الملائكة لسيدنا آدم عليه السلام، وهو سجود تحية وتكريم وتعظيم واعتراف بفضله، وطاعة لله رب العالمين، ويتضح هذا جليًّا. وفي هذا درس، أيما درس، لأولئك المتخاذلين عن طاعة ربهم، وأولئك الذين اختطّوا سبلاً غير

(١) راجع المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، د/ عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الجزء الأول، ص ٢٠ وما بعدها.

سبل ربهم زعمًا أنها تكون سبل إصلاح. وكذلك للطائفة التي ترد سنة رسول الله ﷺ، بزعم أنها لا توافق العقل. سبحان الله! هل يقرر المخلوق إن كان أمر الخالق يصلح أم لا يصلح!! إن أعقل العقل أن تسلم العقل لمن خلق العقل، وإلا فلا عقل.

٢ـ كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون. فليس من البصيرة أن يتخذ المحاور خطأ غيره ويسلطه عليه، ويكون وسيلة للتشهير به، فهذا ليس من أدب الحوار. بل لا بد من أن يكون الحوار مادة إصلاح لا طريق طعن وإفساد. بل، إن هذا الخطأ، ليجعل الناس تتبرأ من حوله وقوته إلى حول الله وقوته. فهي الملاذ من النفس والشيطان والدنيا والهوى وغيرها، هذا بالإضافة إلى التوبة قبل فوات وقتها، فتكون الحسرة والندامة، والتي لا تنفع يوم يكون التعامل فيها بالحسنات والسيئات.

٣ـ أهمية الإخلاص والتجرد في الحوار وحسن الخلق والعلم بمقصد الحوار، إذ ما كان هدف إبليس لعنه الله إلا التغرير والخداع، انطلاقًا من الحسد والكبر. وها نحن نرى حوارات عدة ليس هدفها الوصول للحق، وإنما غمط الحق وأهله، وهؤلاء لا تخلو عدتهم من كبر وحسد على من يتكلم بلسان الحق في الحوار، فحذار حذار من هؤلاء.

٤ـ إن من الخطورة بمكان، ولطالما المرء يكررها، إذ استفحلت حتى في عوام الأمة، أن يزج المرء بأنفه مع النص، فلا يطبقه. وأنى لك أيها المسكين أن تصل للحق، فها هو إبليس اللعين رفض أمر الله الصريح بحجج متهاوية، كفى أنها أخرجته من الجنة إلى النار أبدًا. ألا فليتعلم أولئك الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان ولا هدى ولا كتاب منير.

٥ـ لا بد من معرفة آفات النفس البشرية، إذ تلجأ النفس دائمًا إلى العجب والغرور والمدح والتزكية، وفي هذا هلاكها. وتجد هذا في عديد من

الحوارات، فقد يظن الشخص أنه مادام اشتهر أو كذا، فقد حاز السبق، ثم يخطئ في حواره، ويبين ذلك من هو أقل منه. وهنا تتدخل آفات النفس البشرية وحظوظها الفانية، والتي قد تؤدي بها إلى ترك الحق.

٦ـ عداوة إبليس للإنسان القائمة إلى قيام الساعة، والتي لا يتصور معها نصح ولا إرشاد. ولذا، تجد التغرير والخداع من وسائله. وفي هذا، حدّث، ولا حرج فلقد أخبرنا الله بأعدائنا من شياطين الجن والإنس، وأبان سبيل المجرمين، وبين أنهم يستترون بستر التزيين والتغرير، بل والتخويف، يخوفونهم من كل شيء، من أولياء الشيطان وقوة السلطان والفقر وغير ذلك، مع أنه لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا، وأن المال مال الله، وأن الدنيا كلها زائلة عن العبد، وإما أن يفارقها أو تفارقه، وأن البلاء إما رفع للدرجات أو تكفير للسيئات.

٣- حوار قابيل وهابيل:

ما سببه؟! وكيف كان؟ وما هو المستفاد منه؟!!

قال الله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ * لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ * إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ * فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ (المائدة: ٢٧ـ٣١).

المستفاد من الحوار[1] :

١ـ الحسد شر مستطير، وداء خطير بالفرد والمجتمع، فقد يؤدي إلى قتل الأخ. وإذا كان هذا على مستوى عوام الناس، فكيف بدعاتهم وعلمائهم؟! بل، ماذا تنتظر من أهل الباطل تجاه أهل الحق، وذاك واضح من حوارات الدعوة وحوارات أهل الحق بالباطل. وأتعجب كيف يكون الحسد ويجتمع مع الإيمان بالله عز وجل، وقضائه وقدره. وكل النعم من الله عز وجل للابتلاء والاختبار، فعلام الحسد؟!! ثم أين الخلاص والتجرد وحب ظهور الحق ولو على لسان الغير المتحاور؟!!

٢ـ الداعية داعية ولو في أعصب أوقات الفتن، فلا يخرج عن سمت الدعوة ولا يسكت عنها، ولو توعد المتحاور الآخر بقتله. وانظر إلى آليات الحوار: محاولة ترقق وتلطيف من هابيل، إذ لم يصدر منه ما يوجب الإساءة، وبيان السنن الكونية، إن الله إنما يتقبل من المتقين، ثم إنه لا يبادر الإساءة بالإساءة، بل الإحسان، لا خوفًا من المتحاور، بل خوفًا من الله عز وجل، مع بيان عقوبة الله عز وجل لكل معتد حتى يثوب إلى رشده. انظر إلى التعامل مع نفسية المتحاور والأخذ بيده والتدرج معه.

٣ـ إن هناك من النفوس ما لو قدمت لها النصيحة على طبق من الذهب لا يزيدها ذلك إلا ابتعادًا عن الحق واستمرارًا في الباطل. ولا يعني ذلك من المتحاور أن يخرج عن أدب الحوار ولا آلياته، ثم إن ما قُدِّر كان، ولو كان هناك أذى فهو في سبيل الله تعالى. وكم هو عظيم أن تهب نفسك لله، وتحتسب وتصبر لله ﷻ، ففي ذلك نعم الأجر، وعظم الثواب، وحسن المآل.

---

(١) المرجع السابق، ص١٠٧ وما بعدها.

٤- حوار سيدنا نوح عليه السلام مع قومه :

ومن هنا، نرى الحرب بين أهل الباطل وأهل الحق وجدال أهل الباطل، وقطع دابرهم من قبل أهل الحق، وبالحق، كيف ذلك؟!!

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ * فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ * قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ * وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ * وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ * قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ * وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ * وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ * وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ * وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ * فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ * حَتَّىٰٓ إِذَا

جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ * وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ * قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ * وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ * قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ * قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (هود: ٢٥-٤٩).

المستفاد من الحوار[1]:

١ـ لا بد من مقومات أساسية للحوار، وهي الخاصة بثوابت وأصول الدين. ويأتي على قائمتها توحيد الله عز وجل، فهو أساس حوار كل الرسل، وعليه مدار حواراتهم. والوصول إليه هو هدف هذه الحوارات. ولذا، فلا أقل من أن نقتدي برسلنا العظام، عليهم الصلاة والسلام. أما أن تصير أصول وثوابت الدين مادة للرأي والرأي المخالف. بل تميع قضية توحيد الله

(١) المرجع السابق، ص١٢٩ وما بعدها.

عز وجل في بعض الحوارات، فهذا يناقض حوارات الرسل وينافي الاقتداء بهم، مما يفضي بنا إلى غير سبيل الهداية والرشاد.

٢ـ إن غرض الحوار هو الوصول إلى الحق، ولذا فلا بد للمحاور من التلطف مع الغير، وإظهار الشفقة والنصح لهم. فسيدنا نوح ليس إلا أخوهم أخوة النسب لا الدين. وهو يخاف عليهم، ناصح إليهم، يعلم ما لا يعلمون. وهذا التودد لا يعني البتة المداهنة ولا النفاق. وبالتالي، فلا يمنع من قول الحق وإظهار الباطل. وهذا ما نرى عكسه كثيراً في بعض الحوارات، إذ لا يمنع التلطف والتودد مع الغير من قول ما قاله الله فيهم، فهذا هو الحوار الحق، حوار الرسل، الذي يجب أن نتأسى به. أما أن نداهن في ديننا كيما يرضى الغير عنا، فهذا ليس من الحوار لإحقاق الحق. ولم يأمرنا الله بالتنازل عن ديننا لإرضاء الغير عنا. بل قال الله عز وجل: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (البقرة: ١٢٠).، وليس بعد كلام الله كلام، لمن يطع الله ورسوله!!

وبالإضافة لما تقدم، فلابد أن يبين المحاور أنه لا يطلب من حواره ثمة منفعة أو أجر، وأن يستخدم الحوار أسلوب الترغيب والترهيب. فهذا سيدنا نوح يرغب ويرهب: ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ * يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (نوح: ٢ـ٤). فالترغيب أدعى لفتح القلوب الغافلة، والترهيب أزجر للقلوب المؤصدة.

بل وأن يستمر على ذلك في كل حال، مستغلاً كل مناسبة، قال تعالى عن سيدنا نوح عليه السلام: "قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً". وقال الله تعالى: ﴿

ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ (نوح: ٥ـ٨).

فهذا أفضل وسيلة للحوار، إذ كثرة طرق الباب تفتح مغاليقه، على أن يكون ذلك بالتلطف والتودد دون ملل ولا ثقل ولا سآمة، مع تخير الكيفية المناسبة.

وفضلاً عما تقدم، لا بد أن يكون هناك الحوار المبين الواضح القاطع الحجة، البالغ السلطان، والذي لا يدع لمحاوره مراجعة ولا رداً.

إنه ومع كل ما تقدم، من التلطف والتودد، واستخدام أسلوب الترغيب والترهيب، والبلاغ المبين، فكثيراً ما تجد الجدال والعناد مع الغير المتحاور، ويكون غرضه دحض الحق، مع أن غرض الأول الحق. بل تجد أكثر من هذا.. تجد إثارة الشبهات على المتحاور وحواره، وافتراء الكذب عليه، ورميه بالسباب والشتائم، بالتطرف، بالإرهاب، بالجمود، بالانغلاق، بعدم الواقعية، بعدم العصرية، بعدم التنوير. وإن من يتبع ما يقوله المحاور ليسوا سوى متطرفون جاهلين، سطحيي التفكير، ممن لا يتفهمون الدين. لماذا كل هذا؟!!

أبعد أن قطعت الحجة المحجة، لم يجدوا إلا هذا، لصرف الناس عن محاور الحق، بل والحق ذاته؟!!

وهنا ما على المحاور أن يشتط ويظلم، وليعلم أن هذا من مكرهم لصرف الحوار عن هدفه الأساسي، وليعيدها ثانية إلى ذات الحلبة بالحلم والصبر وعدم الانتصار للنفس، ونفي شبهاتهم بالحجة والبرهان، وحصر الجدال في لب الحوار.

فإذا وجد المحاور على هذا النحو، أبانوا من التحقير والسخرية والاستهزاء، بل والتهديد والتخويف وغيره للوصول إلى هدفهم. وهنا فقه

الحوار، إذ مادام الأمر كذلك، فلا فائدة من الجدال، ولا مبرر للاستمرار. فالحق قد بان وظهر، وما كل المحاولات السابقة من هؤلاء إلا خير بيان لذلك. والمحاور لا يضيع وقته سدى وهملاً. أما عن هؤلاء، فالله أعلم بهم، وكم جادل من مجادل، فأين هو الآن؟!

وهل منع الحق؟!!

إن الحق قضى على نفسه أن يحق الحق بكلماته، ويبطل الباطل لوكره المجرمون. ألا فليتزم المتحاورون وغيرهم بتلك الأمور؛ فهي الوسيلة المثلى لبيان الحق، لمن أراد الحق.

٥- حوار سيدنا هود عليه السلام مع قومه:

وهذا نموذج آخر للحوار بين الحق والباطل، ورأس الحق في هذا الأمر هو سيدنا هود عليه السلام، مع قومه أهل الباطل. تعالوا لنتعلم من هذا الحوار:

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ * يَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * وَيَـٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ * قَالُوا۟ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ * إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ * وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا

وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ * وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُ وَاتَّبَعُواْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * وَأُتْبِعُواْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾(هود: ٥٠ـ٦٠).

المستفاد من الحوار[١]:

١ـ نعود إلى أصل القضايا ولبها وهي قضية التوحيد، توحيد الله عز وجل، فهو أسمى حوار تدعو إليه، وموضوعه أسمى حوار، ورجاله الذين يتحاورون به هم أسمى رجال، فما ظنكم بقضية تسير في كل حوارات التاريخ الإنساني، أننقضها في هذا العصر؟!!

٢ـ تجرد المحاور من طلب الحظوظ الدنيوية، وهو أساسه الذي يعول عليه. أما وقد مد عينيه إلى متع الله به غيره، فلن يفلح حواره، وستذله هذه الحظوظ التي لا تنتهي، ويفقد معها حواره ونفسه وغايته، ولا سيما وأن الحوار من أجل الحق تعترضه عقبات وعقبات، ومما يستثمرونه في ذلك أيما استثمار تعلق النفوس بالدنيا، وعدم قناعتها وزهدها، والتاريخ خير شاهد.

٣ـ إن اتبعتم أوامر ربكم تزدادون غنى وقوة، وإلا فهو العذاب الأليم. فجناحا الحوار في كل ميدان الترغيب والترهيب، ترغيب القلوب إلى الحق، وترهيبها من الباطل.

٤ـ الحوار من أجل الحق، لا بد من ربطه بالحق ونعمه، ولذا قال سيدنا هود لقومه، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الشعراء: ١٣٢ـ١٣٥). وهذا في كل مفردات الحوار، الحوار في الدعوة، في التربية، في

(١) المرجع السابق: ص ١٧١ وما بعدها.

الثقافة. وبذلك، يكون الحوار بناء للدين والدنيا.

٥- ولن تتوقف سلسلة جدال أهل الباطل في حوارهم، فهم يرمون محاورهم بالسفه والضلال، والآن، وكما تقدم، بالتحجر والجمود والانغلاق، لكنه يرد باطلهم بعلمه وبحلمه، ويا ليت الأمر يصل إلى هذا فحسب، لكن يبلغ الصلف غايته. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾(فصلت: ١٥). غرور واستكبار بالقوة، مع من؟! مع الرسل، فما بالك بغير الرسل؟!!

ولهذا، فليعتبر المتحاورون من أجل الحق أنهم لا يكونون في نزهة خلوية، إنما الأمر تدافع بين الحق والباطل، والباطل ينتفش بقوته وبفساده، ويتمسك بأصنامه، حتى قالوا لسيدنا هود: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (الأعراف: ٧٠)

فماذا كان رد فعل أهل الحق في حوارهم إزاء هذين الأمرين؟

٦- أن الرد يكون من منطلق القوة، لا الخنوع والذلة، ولا خوف ولا تمييع القضايا والتخفي وراء الكلام المرسل، بل اسمع ما قاله نبي الحق، سيدنا هود عليه السلام: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ (هود: ٥٤-٥٥).

إذن، براءة صريحة معلنة من الشرك وأهله، وعدم الاكتراث بتهديدات أهل الباطل في حوارهم، توكلاً على الله ﷻ، واعتماداً على حوله وقوته، فانظر الفرق بيننا وبين الحق كم اتسع؟!

أما الرد على آلهتهم التي يصنعونها، فضلاً عن تقليديهم لآبائهم، ماذا قال؟!

أقال هذه الآلهة لها أصول الإسلامية، أو تتفق مع الإسلام في كذا، لا، بل قال بعزة وقوة: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ (الأعراف: ٧١)، فماذا بعد الحق إلا الضلال؟!!

٧- ثم تستمر سلسلة العناد مع الأنبياء المؤيدين بالوحي وبالمعجزات، فيصل التحدي من قوم هود مداه بقولهم: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ * إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ * وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ (الشعراء ١٣٦-١٣٨) فالوعظ وعدمه سواء، وسنستمر على طريقتنا، والتي هي خلق الأولين، بل ولن نعذب على ذلك!!

ما هذا؟! انظر القتال الشرس حتى في حوار الباطل وأهله، مما يتطلب أن يكون جنود الحق على أقوى من هذا وأشد إصراراً وإرادة في سبيل الحق، ولاسيما وأن النجاة دائماً للمؤمنين، والخذلان وعاقبة السوء دائماً للمبطلين.

٦- حوار سيدنا صالح عليه السلام مع قومه:

وهذا سجل آخر لحوار على الحق، وعلى دعوة الحق، فكيف كان؟! قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ * قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ * وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً

﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ * فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ * فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ * وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ * كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ﴾ (هود: ٦١ـ٦٨).

المستفاد من الحوار[١]:

١ـ لا تنازل ولا تمييع، بل تأتي قضية القضايا، وأصل الثوابت على قائمة الحوار، فهذا الحوار النافع المفيد، والذي حمل لواءه كل نبي، أفلا نقتدي بهم؟!!

٢ـ التذكير بآيات الله، والترغيب فيما عنده، والترهيب من عذابه، ورفض ذهب المعز، هو سيف المحاور من أجل الحق.

٣ـ استكبار أهل الباطل في حوارهم، وهنا وقفة، ماذا قالوا؟ "قالوا يا صالح كنت مرجواً قبل هذا" . . فأنت كنت مستنيراً قبل هذا، ما الذي دهاك؟! كنت وكنت فينا، أما بترهاتك تلك، فلا تعدّ شيئًا عندنا. انظر لغة أهل الباطل، يستعلون بباطلهم على أهل الحق، بل يتعجبون، جحوداً واستكباراً وخداعًا، أن ينهاهم عن عبادة أصنامهم، كالمصطلحات المعاصرة التي يؤلفونها. بل، ويشكون في الحق وصلاحيته كالعلمانيين بالنسبة للإسلام. كيف وقد كانت مذهب السابقين، فماذا كان رد سيدنا صالح؟!

٤ـ قال إن لدي الآيات البينات والأدلة الواضحة على ما أقول، والتي أعطانيها الله عز وجل. ثم بين لهم أن اتباع الباطل ليس إلا عصياناً لله تعالى. ومن ينصرني

---

(١) المرجع السابق: ص ١٨٣ وما بعدها.

حينئذ؟! أأنتم؟! أم باطلكم؟! فما تزيدونني غير تخسير، ونحن اليوم لدينا معجزة القرآن الكريم، والتي كشفت عن صدور القوم. وكفى بها معجزة. ومع ذلك، نتحرج من قول الحق، ونسير وراء ترهات الباطل، أفلا تعقلون؟!

٥- بل وتستمر سلسلة الصلف والتكبر بإظهار السخرية والاستهزاء من أداء الحق، فيقول أهل الباطل لهم ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ (الأعراف: ٧٥)، وذلك بعد ظهور الآيات والمعجزات كالناقة، فانظر إلى قول المؤمنين المستضعفين، وبكل ثقة ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ٧٥)، . فماذا كان رد المستكبرين ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ (الأعراف: ٧٦)، لماذا كل هذا العتو والتجبر؟! تعالوا لنعرف ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ * فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ * أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ * سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ (القمر: ٢٣-٢٦).

المشكلة أنهم يريدون أن يكونوا آلهة تعبد من دون الله، لا يتلقون الحق من مثلهم. هذه هي المشكلة، وتلكم هي حقيقة استنكاف المستنكفين واستكبار المستكبرين، فكيف نسترسل مع القوم في هذه الترهات، أين العقول يا من تزعمون العقلانية؟!!

٧- حوار سيدنا إبراهيم عليه السلام:

وأتناول فيها حواره عليه السلام مع النمرود، ثم حواره مع أبيه وقومه، وذلك على النحو التالي:

أولاً: حوار إبراهيم عليه السلام مع النمرود:

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ

إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (البقرة: ٢٥٨).

المستفاد من الحوار

١ـ محاولـة تمسح الفراعنة بالشرعية وذلك من خلال تظاهرهم بالحوار مع الناس أجمعـين في ظـل حـرية الـرأي والكـلام، لكنها حرية موقوفة بعدم وجود من يملـك الحجـة القـوية والسـلطان المبين الذي يكشف زيف المخادعين وتغرير المغررين.

٢ـ اسـتطالة أهل الباطل بإضفاء هالات من الملك والملكوت، واستخدامه كوسيلة لإظهار الألوهية، لكن ذلك أوهن من خيوط العنكبوت.

٣ـ بـراعة سـيدنا إبـراهيم في عدم الدخول في لجاجة مع الخصم فيما قد يفتح بابًا لخصم أن يتكلم، لكنه قارعه بحجة لم يجد معها خصمه إلا أن بهت، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ (الأنعام: ٨٣). فمـن أراد الحجـة القـوية والسلطان المبين فليطلبها من الله ليظهر به الحق، وبعد هذا لا يكون ثمة عذر في الارتماء في أحضان الباطل ومجاراته.

ثانيًا: حوار إبراهيم ﷺ مع أبيه وقومه:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيه آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ* وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْض وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لاَ أُحِبُّ الآفِلِينَ* فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ* فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً

وَسع رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ علْماً أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ * وكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ ولاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم باللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ به عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بالأَمْنِ إن كُنتُمْ تعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُم بظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (الأنعام: ٧٤ـ٨٢).

وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا * يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا * يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا * يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا *قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا * فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾(مريم: ٤١ـ٥٠).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَـٰلِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَـٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَـٰكِفُونَ * قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَـٰبِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ * قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّـٰعِبِينَ * قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ * وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَـٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قَالُواْ مَن فَعَلَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ * قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ * قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ *

قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ * فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ * قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ * وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ (الأنبياء: ٥١-٧٠).

المستفاد من الحوار:

تعالوا لنتعلم كيف تكون الحجة؟! وبم تكون الحجة؟!!

فالحق والدعوة بداية من الأب. وها نحن نرى أبناء ملتزمين فشلوا في الأخذ بأيدي آبائهم إلى الحق. تعالوا لنتعلم، تلطف وتودد. يا أبت- يا أبت - يا أبت - عطف وحنو، شفقة ونصح، إبداء العجب: كيف تتخذ الأصنام آلهة؟! ما هي هذه الأصنام التي تفنون أعماركم في العكوف عليها؟!! كيف يعبد من لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر، يا من تنادون بالديموقراطية ، يا من تنادون بالعولمة، يا عباد الأصنام الفكرية، ألكم عقول تعقلون بها؟!! ثم يبين أن لديه من العلم ما ليس لدى أبيه، وأن اتباع الأصنام طاعة للشيطان ومعصية للرحمن، وأنه يخاف عليه. فقه وحجة، وترغيب وترهيب، ومع ذلك.. لغة التكبر والعتو ممن؟!! من الأب تجاه ابنه؟!! أراغب أنت عن آلهتي - ثم التهديد والوعيد من الرجم والهجر. فماذا كان الرد من الابن.. هل بالجفوة والغلظة والشدة؟ لا، وعندما تبين له أن أباه عدو الله تبرأ منه. واعتزلهم وما يعبدون، فكان من نعم الجزاء بنبوة البنوة، هذا مع الأب، فكيف مع القوم؟!!

فبدأ سجل الحوار والجدل، فكان تمام الحجة، فبين فساد آلهتهم وبطلانها الواحد بعد الآخر، فأي إله هذا الذي يأفل نجمه، أتسمعون يا تابعى الباطل

ومصطلحاته؟!! حتى انتهى إلى البراءة من الشرك والمشركين، لكن الباطل يخوف! بماذا يخوف؟!!

لكن الباطل يستخف بالحق ومحاوره، حتى دعاه من اللاعبين، سبحان الله!!

ومع ذلك، أعاد سيدنا إبراهيم الصراع للحلبة ثانية، فبين التوحيد وأظهره، وأن العبادة لرب السماوات والأرض لا لأصنامكم. ثم انظر إلى القوة والعزة والأنفة في الحق. محاور الحق يتوعد بكيد أصنام الباطل، وبفضح وبيان زيفها، فقام بكسرها كلها إلا كبير هذه الأصنام، تاركًا تكسيره، معلقًا الفأس في عنقه ليحتج به عليهم "لعلهم إليه يرجعون"!!

فماذا كانت النتيجة؟!! انظر منتهى التيه الفكري، قالوا: "من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين"، آلهة يفعل بها هذا، تعبد؟!! قالوا: سمعنا فتى.. وللفتى دلالات ودلالات؛ إذ الشيوخ تربوا على هذه الإلهية فشربوا منها، فبدأت الحملات والاعتقالات، وبمحاكمة علنية ﴿قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾؛ حتى لا تتكرر من أحدهم تارة أخرى. ثم بدأت المحاكمة مصبوغة بصبغة شرعية، فيسأل المتهم عن فعله حتى يقّر به، وتتم المحاكمة بصورة أشبه بالشرعية. فقرعهم سيدنا إبراهيم بقوله: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾!! فسقطوا في أيديهم، وهذا على أعين الناس. ولقد آتت الحجة ثمرتها حتى رجعوا إلى أنفسهم وقالوا قولة الحق: ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، لكن نفسًا استمرأت الألوهية والباطل هل تعود إلى الحق؟! ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ على الباطل ثانية، فقالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾. فألزمهم بالحجة، وعلى لسانهم اعترفوا بعجز آلهتهم عن النطق، فهل تعد هذه آلهة؟!!

ثم جاء التوبيخ من سيدنا إبراهيم ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۞ أُفٍّ لَّكُمْ﴾، وكأنهم يقولون: لا نحن تبعٌ لهم، ونحن نمشي وراءهم ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

لقد ظهرت البراءة على لسانهم، ففشلت تلك المحاكم أن تصبغ بصبغة الشرعية، فانكشف الوجه الحقيقي لهم، إذ لم يبق إلا التنكيل بعد أن فضحهم وفضح آلهتهم ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ﴾ وماذا و﴿وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ﴾ فماذا بعد هذا؟!!

والعجيب أنهم يشركون بما لم ينزل به الله من سلطانًا، وبيَّن لهم ذلك سيدنا إبراهيم، فماذا بعد هذا من حجة؟!!

وماذا بعد هذا من عزة؟! فللحق عزة موصولة وقوة تحتاج لرجال، لكن نفوسًا خائفة من عاقبة الحق؟!! كيف وقد قال الله تعالى "وأرادوا به كيدًا فجعلناهم الأخسرين" إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين.

حوار سيدنا إبراهيم مع سيدنا إسماعيل عليهما السلام

وهذا حوار العظماء أمام أمر الله، وتنفيذه من الصغير قبل الكبير، حوار البر، كيف كان؟!

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۞ ا فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ۞ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۞قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (الصافات: ١٠٢-١٠٥).

المستفاد من الحوار[1]:

١- أوامر الله تستوجب السمع والطاعة المطلقة، والرضا والقبول، دون تردد ولا كسل ولا تعقيب. وفي هذا دعوة للرضوخ لأوامر الله، لاسيما في حوارتنا.

---

(١) المرجع السابق: ص ٢١٩ وما بعدها.

٢ـ إن سيدنا إسماعيل ﷺ قدّم خير أسوة في طاعة الله عز وجل، والبر بالوالدين، وكم يفترقان لدى الشباب المسلم اليوم؟! فتجد طائفة أطاعت ربها، لكنها عقت والديها. وطائفة برت بوالديها وعصت ربها، فكيف وقد كانت الطاعة في اختبار وبلاء عظيم؟!! ولو أدت إلى ما أدت تجاه الولد والأهل، وكم من متخاذل بسبب الولد والأهل؟!

٣ـ إن دين الله عز وجل ليس رخيصًا، فلا بد من الابتلاء فيه، وكل بقدره؛ وحتى يظهر الصادق من الكاذب، ومع البلاء الفرج لمن أطاع. فهذه تذكرة لمن إذا أوذي في الله، جعل فتنة الناس كعذاب الله، وفرّ وولّى وجهه شطر الباطل ابتعادًا عن الحق.

٩- حوار سيدنا لوط ﷺ مع قومه:

ومن أهل الباطل المتحاورين ما لديهم من الفحش والفاحشة، فكيف كان حوار أهل الطهارة مع أهل الفاحشة؟!!

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ * وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ * قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ * قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ * قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ * فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ * مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ (هود: ٧٧ـ٨٣).

المستفاد من الحوار[1]:

١ـ وهنا لمحة عن أهل الباطل، إذ من باطلهم إشاعة الفواحش والمنكرات بين الناس. وهذا أمر عجيب ومستنكف. والحق أنك لو تتبعت التاريخ لوجدت مظاهر الفساد بكل صوره. وعلى هذا، فهم يريدون أن تشيع الفاحشة بين الناس، ولا عليهم مادامت مآربهم قد تحققت لهم. ولذا، فإن على محاوري أهل الباطل أن ينتبهوا لأمر هام، وهو أن كثيرًا من أولئك يزعم الطهارة. لكنك أن تسربلت رداءه، فلا تجد إلا الفاحشة. وها نحن أمام صور استقرت في المجتمع المسلم، بل وتمكنت من قلوب المسلمين. وهي تلك المعروضة في وسائل وأقلام أشاعت التحلل والانحلال الخلقي بكل معانيه، وللأسف تجد الناس مع ذلك عاكفين أمام هذه الأصنام.

٢ـ إن أهل الباطل بما لهم من جاه أو مال أو سلطان يستغل ذلك في إتيان الفواحش، وفي هذا عبرة لمن أراد الحق، فالإسلام يطهر المجتمع من كافة أمراضه ومنها النفسية.

٣ـ إن أهل الباطل، وهم يتظاهرون بالطهارة، وإذا وجدوا أمام أهل الطهارة حقًّا، فإنهم يستخدمون من منكرهم وحيلهم، فيلصقون التهم بأهل الطهارة، بل ولا يتورعون أن يخرجوا من أرضهم كل من نادى بالطهارة، لأجل ما نادى به، وكأنه قد كتب على البلاد أن تعيش في الفحش والفواحش من أجل هؤلاء؟!!

١٠- حوار سيدنا شعيب عليه السلام مع قومه:

وهذا مثال آخر لفساد أهل الباطل من التطفيف بالميزان، وبخس الناس أشياءهم، وإفسادها في الأرض. ترى كيف كان حوار أهل الحق معهم؟!!

---

(١) المرجع السابق: ٢٢٩

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ * وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ * قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ * وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ * وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ * قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ * وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ ۖ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ * وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ * كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾(هود: ٨٤-٩٥).

المستفاد من الحوار[1] :

١ـ على من يحاور أهل الباطل أن يزداد قوة بعد قوة في حواره، إذ هو يواجه الباطل فعلاً. وإذا كان قوم لوط قد أهمتهم الفاحشة، فإن قوم شعيب كانوا من المطففين الذين ينقصون الكيل والميزان، ويبخسون حقوق الآخرين، ويفسدون في الأرض، وبالتالي فالباطل ظاهر واضح، فما على المحاور إلا أن يبرزه ويوضحه، ويوضح ضرره وخطره على الفرد والمجتمع، لا أن ينساق وراء هذا الباطل لقوته، بل زاد عتوهم بأنهم يتوعدون ويصدون عن سبيل الله من آمن ويبغونها عوجًا. يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾(الأعراف: ٨٦) وعليك أن تتخيل القوي ماذا يفعل بجنوده الذين يريدونها فتنة صماء بكماء عمياء، تمنع الناس عن الدخول في الصراط المستقيم، ويصير الأمر كله عوجًا. ولهذا، ما تجد مخالفة لله ورسوله إلا ويأتي العوج من ورائها وفي ظلها، فلا يغتر محاور أهل الحق بتغرير أهل الباطل، ولا بقوته الظاهرة، فالله أكبر وأقوى وأعلى.

٢- ولا يعني ما تقدم، افتقاد آليات الحوار من تلطف وتودد، وترغيب وترهيب، وتعفف عن ذهب المعز، وقول الحق في أهل الباطل، مما توعدوا وهددوا. فها هم يهددون شعيبًا بقولهم ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا] (الأعراف: ٨٨). بل، ويستهزءون به [قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾(هود: ٨٧)؛ إذ إنهم يتخفّون وراء

(١) المرجع السابق: ص ٢٣٧ وما بعدها

حسن الشعارات، لكنهم قلوبهم في الحقيقة قلوب ذئاب، يريدون الباطل في كل شيء، في العبادة، في المال، في كل الحياة، ومن يردّهم إلى الحق يعدّونه ضعيفًا، ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ] (هود: ٩١). نعم، فالعزيز عندهم هو باطلهم، والذي يقاتلون من أجله، ولو وصل الأمر لقتل نبي، فكيف من دونه؟!!

لكن بلغ بهم الضياع والتيه حتى طالبوا شعيبًا أن ينزل عليهم العذاب، ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾(الشعراء: ١٨٧) سبحانك يا رب، سبحانك.. غرّهم حلمهم عليهم، غرهم طول الأمل، غرهم ما اختبرتهم به من نعم، فهل من جلد وقوة لمقابلة أمثال هؤلاء في حوارهم؟!!

٣ـ إثارة الشبهات حول محاوري أهل الحق، هو دأب محاوري أهل الباطل ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ (الأعراف: ٩٠) فهو وأتباعه من الإرهابيين؟!!!

وعليه، فعلى المحاور من أهل الحق أن يبتعد عما فيه شبهة، ويأخذ نفسه بالعزائم، حتى لا يدع لقائل قول، ويخرس تلك الألسنة الكاذبة.

والقرآن الكريم حافل بهذه الأمثلة العملية التي تجسد دور الحوار في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، بدءًا بخليقة الأرض، حتى نزول آيات القرآن الكريم بيانًا وعظةً للعالمين أجمع.

الفصل الثالث

الحوار مع الذات والحوار مع الآخر

- المبحث الأول : الحوار مع الذات
- المبحث الثاني : الحوار مع الآخر

الفصل الثالث

الحوار مع الذات والحوار مع الآخر

خلق الله الإنسان، ووهب له فطرة نقية سوية، وأودعه عقلاً سديداً. وأرسل له الرسل بالبينات والمعجزات، لكن الإنسان هو الإنسان، ظلوم جهول. ولذا، دشَّن الله عز وجل التكاليف الجماعية؛ لحماية المجتمع بأسره، وكي يأخذ الفرد بيد أخيه الفرد، حال فتوره أو معصيته أو ضلاله. ومن ثم، كان تشريع صلاة الجماعة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصح لعامة المسلمين وإرشادهم. وهذه الجماعية من الأهمية بمكان؛ إذ الفرد قد يطغى ويظلم، يجهل ولا يعلم، فكان لابد من هذه الجماعية في المجتمع المسلم. هذه الجماعية قصدها خلاص المجتمع مما يفسده بنفسه، ولن يتم هذا إلا عبر الحوار، والحوار مع الذات.

ولا تعني الجماعية المتقدمة، انتفاء دور الفرد مع نفسه، بل للفرد مع ذاته الداخلية وقفات ووقفات، يرى كم هي على حق؟! وما أمراضها؟! وكيفية علاجها!!

وبناء على عالمية الرسالة المحمدية، وكونها خاتمة الرسالات، كان لا بد من استنقاذ البشر من الظلمات إلى النور، من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، من عبادة الآلهة والأصنام، والتي تتعدد عبر العصور والدهور، والظروف والأحوال، واختلاف الأمصار والأمكنة، والتي دعت صاحب الرسالة، رسولنا، ﷺ، وهو على أعتاب الموت، أن يأمر بإنفاذ جيش أسامة بن زيد. وتبعه في ذلك، صديق الأمة، ولم تتوقف الدعوة قط إلا في أزمنتنا هذه. ولكلٍ تبريره، حتى وصل الإسلام لبني الأحمر والأصفر، وحتى سمع أذان المؤذن

خمس مرات في النمسا وغيرها من بلاد أوروبا. ثم باتت دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، وكأنها نسخت رغم تصاعد المد التبشيري على مستوى العالم، ولهذا كان الحوار مع الآخر.

وعليه، يتم دراسة هذا الفصل في مبحثين كالتالي:

المبحث الأول: الحوار مع الذات.

المبحث الثاني: الحوار مع الآخر.

المبحث الأول

الحوار مع الذات

والمقصود بالحوار مع الذات أي الحوار مع النفس الداخلية أو مع أنفس المسلمين عامة.

ولذا، يمكن تقسيم هذا المبحث إلى قسمين على النحو التالي:

- **أولاً: الحوار مع النفس**
- **ثانيًا: الحوار مع أهل الإسلام**

أولاً: الحوار مع النفس

تقدم أن تعريف الحوار في الشرع هو حديث بين شخصين أو أكثر في مجال الشرع، وهذا الحوار تجد فيه من القول والقول الآخر، والكلام، والمحاجّة، والمجادلة. لكن حوارًا آخر لا يظهر فيه الكلام أو القول، ويكون داخل شخص واحد، ألا وهو الحوار مع النفس.

وسواء قلنا إن الحوار مع النفس يدخل ضمن الحوار عامة، وإن كان حوارًا صامتًا أو أنه ليس منه، فلا مشاحة في الاصطلاح ولا يترتب على التفرقة نوع عمل، لكن ما يهمنا هو أنه يوجد حوار مع النفس الذاتية للإنسان.

والحوار مع النفس هو مراجعة النفس وتقويمها طبقًا لوحي الله عز وجل، ولعلي لا أبالغ إن قلت إنه أصدق حوار. بل، لعل حوارات البشر، لاسيما في هذه الأزمنة، قد غلتبها أمراض الحوار عامة من الرياء والهوى والجدال والكذب وسوء الخلق. بيد أن الحوار مع النفس لا مجال فيه لكل ذلك غالبًا، فهو حوار الصدق، وصدق الحوار، وإن حاول خداع نفوس الغير، فكيف يخدع نفسه ويسوقها إلى التهلكة؟!

وبحكم طبيعة بني البشر، واستفحال المرض فيها، فإن هذه الطائفة، والتي دأبها الكذب، ورايتها الخداع، وشعارها الجدال، وإلهها الهوى، استمرأت الخداع حتى زينته لنفسها، وظنت بما آتاها الله من نعمة أنها ذات الملك والملكوت. وسبحان من حلم على فرعون، حينما قال: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ (النازعات: ٢٤)، وسبحان من أمهل قارون حينما قال ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ (القصص: ٧٨)، والعجب أن يستمرئ المرء خداع نفسه، لحظة عرضه من قبل من يعلم السر وأخفى، وينفي معصيته، سبحان الله !! ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ (العلق: ١٤)، ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ (البلد: ٧)، ولقد روى الحافظ البزار بسنده عن أنس بن مالك، ﷺ، قال: ضحك رسول الله، ﷺ، ذات يوم أو تبسم، فقال ﷺ: "ألا تسألوني عن أي شيء ضحكت؟" قالوا: يارسول الله من أي شيء ضحكت؟ قال ﷺ: "عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة، يقول: أيْ رب أليس وعدتني ألا تظلمني؟ قال بلى، فيقول، فإني لا أقبل على شاهداً إلا من نفسي، فيقول الله تبارك وتعالى: "أو ليس كفى بي شهيداً، وبالملائكة الكرام الكاتبين؟ قال: فيردد هذا الكلام مراراً. قال: فيختم على فيه وتتكلم أركانه بما كان يعمل، فيقول: بُعداً لكُنّ وسحقًا، عنكن كنت أجادل". [1]

وتتبدى أهمية الحوار مع النفس في معرفة النفس البشرية ما لها وما عليها، وحظ العمل مع العلم، ونصيب الفعل من القول. وهل الإنسان في تقدم في دينه، فإن لم يكن في زيادة، فهو بلا شك في نقصان، ويرى نفسه في جنب المحرمات. وهل لا زال قائماً عليها لا يستحي ممن يراه؟ هل لا زالت الغفلة تحكمه والهوى يسيره؟! هل لا زال أسير الشهوة بكل أنواعها؟!! أين هو من أفعال السلف الصالح؟!!

---

(١) راجع الحديث في تفسير ابن كثير، المرجع السابق، الجزء السابع ص١١١.

هل لا زال من أسرى العادات والتقاليد والبدع مما لم ينزل بها سلطانًا؟!!

هل لا زال عاكفًا أمام التلفاز والدش والقنوات الفضائية ناظرًا إلى المحرمات؟!!

هل لا زال يفني عمره في اللهو واللهب ولا يعرف قراءة الفاتحة كما أنزلها الله على رسوله ﷺ؟!

هل لا زال هائمًا بالفاسقين والفاسقات تاركًا العلم والعلماء؟!!

هل لا زال تاركًا للصلوات والزكاة وسائر الطاعات؟!!

هل زال الكبر يملأ قلبه؟! والغرور يفترش صدره؟!! والعجب رايته، والحسد غايته، والغل سمته؟!!

هل لا زال يقدم الدنيا على الدين، فيفرح بقدوم الدنيا لا الدين، ويحزن بفراق الدنيا لا الدين؟!

هل زال يمني نفسه إنه يحسن صنعًا، وأن الجنة مأواه وأن الله غفور رحيم، رغم استمرار محاربته لربه بالمعاصي؟!!

هل لا زال يتتبع زلات العلماء حتى يضع الفتوى في رقبة عالم، ويظن نفسه ـ زعمًا ـ أنه سالم؟!!

هل لا زال يفرط في أمر دينه، بزعم أن الدين يسر، وترك التشدد، وهل كان رسول الله ﷺ وأصحابه متشددون فلا تقتدون به ﷺ، ولا بأصحابه البررة؟!!

هل لا زلت إمعة تسير وراء الناس كيفما ساروا ولوكانوا في الضلال المبين؟!!

هل لا زلت تمني نفسك أنك لا زلت شابًّا، وأنك والموت كشريطي القطار، فلن تجتمعا بحال؟؟!!

هل، وهل . . . إلخ

إنه الحوار مع الذات، والصدق مع النفس، كيما تلملم نفسها، وتعيد ترتيب أوراقها، ولتعلم أن الأمر جد لا هزل فيه، وأن اليوم عمل لا حساب، وأن غدًا حساب ولا عمل، وأن هناك يومًا مقداره خمسون ألف سنة، لا أكل وشرب ولا نوم فيه، تدنو الشمس من الرؤوس بحسب العمل، وأن العبد موقوف بين يدي ربه، يسأله عما قدم وأخر. يسأله عن الصغير والكبير، وعن النقير والقطمير، يسأله عن النظرة، يسأله عن اللفظة، يسأله عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله كيف أتى به وأين أنفقه، يسأله عن فعل الطاعات، يسأله عن اجتناب المحرمات، في يوم يقول الأنبياء فيه سلّم سلّم، في يوم يسأل العلماء سؤال الأنبياء، في يوم يبدأ الله عز وجل الأمر بقوله "لقد أنصتُّ إليكم كثيرًا، فأنصتوا اليوم إليّ" أو كما قال رسول الله ﷺ.

- في يوم يكون فيه الحساب بمثاقيل الذر.
- في يوم يكون فيه الحساب بالحسنات والسيئات.
- في يوم يندم فيه الطائع على عدم الزيادة، وتتقطع فيه العاصي الحسرات على إساءته.

فهل أعددنا للأمر عدته، أم نمشي هباء، وكأن نفسًا لا تدخل الجنة أو تعذب في النيران؟!

لهذا، كان الحوار مع الذات؛ حتى يفيق المرء من غفوته، ويعود إلى صحوته، ويجدد ما فرط، فيكون على الجادة دائمًا، يشخص الداء، ويضع الدواء، وبهذا يكون حوار صلاح وإصلاح، لا حوار فساد وإفساد، وهذا الحوار كان في مقدمة أعمال تجار الحسنات. فتراهم يحاسبون أنفسهم مع وداع كل يوم حساب الملكين اتقاء حساب الملكين: ماذا تبقى لديهم من رأس المال؟! هل زاد؟! أم نقص؟! وإن زاد، فبم زاد؟! بحثًا عن مواطن الزيادة.

ولماذا لا يطرق باقي الأبواب؟!

أهو مستغن عن الزيادة؟!!

وإن نقص، فالتوبة قبل الندم، ويا لها من فرحة!!

توبة تمحو السيئات، وتبدلها حسنات.

سبحان الله، كيف غابوا عن هذه التجارة التي لا تخسر أبدًا؟!

لو عدت، لتبدلت السيئات حسنات.

لو استقمت، لطويت صفحة الماضي.

فالتوبة التوبة، قبل ألا توبة.

ويبحث عن مواطن التفريط، فيحكم الحصار عليها حسابًا وجهادًا مستعينًا بمراقبة الله له، وإطّلاعه عليه، وحسرته يوم تكون الحسرات، معاقبًا نفسه - حتى لا - تعود بدفع صدقة أو صيام يوم ونحوه، تاركًا مكان السوء، مجتنبًا أصحاب السوء، حتى لا تحرث في الماء. فإن عادت، فعد.. فإن عادت نفسك إلى المعصية بعد طول الجهاد ونوع غفلة، فعد بجيوش من التوبة والمحاسبة والمجاهدة والعقاب لها.

وهكذا جهاد مع النفس لتقويمها وإصلاحها، ومع صدق النية تعظم الثمرة، وإن تصدق الله يصدقك، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (العنكبوت: ٦٩).

وبين الطاعة والمعصية، بين الصلاح والفساد، خط وهمي يدعمه الشيطان، لكن كيده ضعيف!!

خط وهمي يقويه الهوى، ولكن اتباعه مزلة أقدام، وكم حسرات يوم الحسرات، واجتنابه يسيرٌ على من أراد، والمدد من الله.

خط وهمي تزينه الدنيا، فتذكر آخرتها!! وأنها لو دامت لغيرك ما وصلت إليك!! وأن الكل كما ركب القطار، فالكل نازل في محطته، لكن بماذا ينزل؟!!

خط وهمي تقف من ورائه النفس، فلم لا تجعلها لوامة بدلاً من أن تكون أمارة بالسوء؟! والنفس كالطفل، إن تفطمه ينفطم، وإلا مفتاح الهلاك، فلن تنال كل ما تتمنى، إلا إذا قدره الله لك، وهو خير تقدير، من العليم الخبير. فأرح نفسك وبدنك، فما كان لك سوف يأتيك، وما لغيرك لن يأتيك، ولو فعلت الأفاعيل، وأفضل وضع لك هو ما قدره الله لك. وإذا لم تصل لمعرفة هذا، فحدث عن غليان النفس داخلاً، يعقبه سوء العمل خارجًا. وفي النهاية، ما قدر سيكون، بلا زيادة أو نقصان، ناهيك عن مزيد سخط الله عليك، فأنى لك بكل هذا؟!! ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١٦).

إذا علمت هذا، فلا بد لك من سلاحين: أولهما الصبر، فأمراضنا كثيرة ومستفحلة، وتأبى أنفسنا إلا الهوى والدنيا واتباع النفس والشيطان، فبسلاح الصبر، يكون الثبات على الطاعة، لا أن نفعلها يومًا ونتركها دهوراً. وبسلاح الصبر، نرضى بما قدره الله لنا، كيف لا وهو من الله؟!! الذي يعلم السر وأخفى، ويُقدِّر ما يصلحك لا ما تريد أن تفسد به نفسك.

وثاني السلاحين الذكر، فهو المدد الإلهي أمام كل هذه العقبات، فصلاة تريح، وقرآن يثبت، واستغفار ينقي، وذكر يخلِّص، ومع الدوام تجلب لذة الإيمان، التي حرم الناس أنفسهم منها في هذا الزمان، لذة الإيمان، التي تعيش بها مع الله، كما أراد الله، فترقى في مدارج السالكين، تنسى بها كل شيء، تريد أن تنسى هموم الدنيا وأحزانها، تنسى بلاءها وأتراحها، بل تكون صفيا نقيا يوم القيامة، ولو أصابك في الدنيا ما أصابك، تريد أن ترضي مولاك بأي شكل، ولو بنفسك.

تقف أمام الدنيا كلها تعلن صوت الحق، بقوة إيمان، وصحيح يقين، وثبات في الدين، حتى النفَس الأخير.

تستعذب كل شيء في رضا مولاك، لا تفكر في شيء إلا رضا مولاك، فتفعل كل شيء بنية، عباداتك لله، وعاداتك لله كذلك، وحياتك كلها لله، وبالله، فمنه العون والمدد.

هذا هو الحوار، ونعم الحوار. حوار المخلصين الصادقين، حوار الجادين المجدين، حوار من يبغي الترقي والفلاح، حوار من يريد الجنة بالعمل لا الكسل، بالجهد لا بالأماني، وبالإرادة والإصرار والعزيمة، لا بالخنوع والفتور والهزيمة. وهذا من طرق الوصول لمن رام الوصول، وبه ترى الثمرات تلو الثمرات على النفس والغير، وبغيره تقف النفس على حد وهمي تصنعه، لا تفيد ولا تستفيد، ففاقد الشيء لا يعطيه، وأنَّى للمحروم أن يعطي؟! والمحروم من لذة الإيمان، فذلك هو المحروم، والمحروم فقط.

وكيف يستقيم الظل والعود أعوج؟!!

فبعد صدق الحوار مع النفس، وبيان ما لها، وما عليها، واستقامتها على الحق، يأتي الحوار مع الذات الأخرى. الحوار مع المسلم، حوار النصح، حوار الدعوة، حوار التربية، حوار الثقافة. هذا الحوار عموده الأول حوار النفس، إذ متى تم واكتمل، أثمر على النفس، وعلى الغير. وهذا الأمر لا بد من فقهه جيداً، إذ ما نراه اليوم من عدم تزايد المد الدعوي الإسلامي، على النحو الذي ينبغي أن يكون، لا كنتيجة لرد فعل أو صحوة بعد طول غفلة منبعها من غير المسلم، أو عفواً بلا تخطيط مدروس وتنفيذ مرسوم. بل مرد عدم التزايد هذا إلى فقدان ثمرة حوار الذات. فما نجده على ساحة الإسلام اليوم من دعوة غالبها من جزء جهيد لأفراد قلائل، صدقوا مع أنفسهم في حوارها، فَعَلَت همتهم، واستقامت طريقتهم، وبدأت الثمرات تنتشر هنا وهناك. وهذا خير، لكن هذا الأمر مرده أساساً لجهد هؤلاء القلائل. ولهذا، تجد من حاول فعلهم، لكنه يسقط في بداية الطريق، أو في نصفه، مع وعورته، وكثرة عقباته، وقوة

أشواكه. ومع ذلك، فإن هؤلاء الجهابذة ينتظرهم الموت ، وها نحن على مدار سنوات قليلة فقد الإسلام كثيراً منهم، وفي وقت من الخطورة بمكان. ولم نر من سد مدهم، وهذه نكبة النكبات. فقدان العلماء الواحد بعد الآخر، وذلكم ما أعنيه أننا لا يوجد لدينا محاضن علمية تربوية تخرج العلماء، وإن خرجت بعض دعاة ووعاظ على عوار. والأمر جلل يستحق تمام العمل، وسرعة التدارك، حتى لا تسير الأمة بغير قوادها، كالأعمى يتخبط يمينًا ويساراً. وهذه أمانة الأمانات وقطب الأمر الإسلامي كله. وهي مقدمة على كثير من أفعال الخير، لمن أراد الخير.

وإذا كان حوار الصدق قد أثمر بجهود فرادى العلماء هذه الثمار الموجودة، فكيف تكون ثمرته، لو صدق كل مع نفسه؟!!

إننا بحاجة إلى حوار مع النفس، لا للنفس فقط، ولكن للأمة بأسرها. فصلاح المرء صلاح للأمة، وصدق حواره مع نفسه طريق الصدق في حوار الأمة. وهذه مهمة العلماء والدعاة، بل الكل. وإني لأعجب كثيرً ا من أمر طالما أرقني، إذ تجد كثيراً من الملتزمين قد أكرمهم الله ببناء البيت المسلم، لكنك إذا دخلته وجدته خاويًا على عروشه من نهج المسلم، تجده لا يفترق عن بيوتات الناس العاديين كثيراً. إذ وجد القالب دون القلب، بل لعلك تجد فيه انفصامًا بينه وبين الإسلام. وإذا كان العذر قائمًا لدى البعض، حال صغرهم، وتحت ولاية أبيهم، فكانوا لا يستطيعون أن يغيروا من الأمر شيئًا، وإن كان عليهم جهد البلاغ المبين.

فكيف لهؤلاء بعد أن انتقلت الولاية لهم، وأصبحت الأمانة بأيديهم، ترى منهم الوهن والفتور، والضعف والخذلان. ترى الزوجة على غير النمط الذي أراده الله، وكأن الدنيا قد غزت القلوب غزواً. ترى الولد وفيه مسخ مشوه من حقيقة الالتزام الإسلامي، بل تراه هو ذاته وقد نزل وتنازل، وضعف وأضعف،

حتى استقر به المقام للقالب دون القلب، فكيف لجيل هذا منشؤه، وتلك تربيته أن يسود ويقود؟!!

ولو استمر حواره مع نفسه، ما كنت ترى هذا قط، والفرق بين الخطأ والصواب، إرادة وخطوة، بعد عون الله وتوفيقه، فهل من متقدم لها؟!

فهيا إلى حوار النفس، لتنقذ النفس وتعلو الهمة، وننقذ الأمة، ولتُكشف الغمة.

ثانيًا: الحوار مع أهل الإسلام

هو ثاني درجات الحوار، وتالي درجات البناء، بعد الحوار الأول، ألا هو حوار النفس. إذ يأتي بعده الحوار مع الآخر من أهل ديني. والمقصود به ذلك الحوار، الذي تتعانق فيه نفوس المؤمنين بالتخلية والتحلية، والتصفية والتربية، والنصح والتناصح، والنقد والتقويم، والمراجعة والبناء.

وإذا كان لا بد من حوار النفس لصلاحها وإصلاحها، مع وجود أعدائها، فإن الحوار مع المسلم آكد وأوجب؛ إذ يتعلق بمصلحة الإسلام والمسلمين. والأعداء كثر، من الداخل ومن الخارج، وعلى كل لون، وبكل وسيلة، فكان هذا مدعاة للالتقاء والتعاون، وتقويم القائمين على أمر الإسلام، وهل انطلقت بهم خطا الإسلام مسرعة؟! أو كانوا عارًا على الإسلام، وكان بهم وأد الإسلام وأهله؟!!

ولنا هناك استدراكات واستدراكات؛ إذ كما تقدم، أطر الحوار مفككة الأوصال، متهالكة البنيان، بل تجد العداوة والبغضاء، والتنافر والشحناء، وكأننا أعداء، تجد جهوداً مبعثرة، أشتاتًا متفرقة، تكرر في جانب، وتنسى جوانب، لا تكامل بينها ولا تخطيط، ولا علم ولا ترتيب، والكل قد أعلن الإسلام لا غيره. وقد ترى ما لا تراه من عوام المسلمين، ترى العمل بالعاطفة لا بالعلم والتخطيط، تجد ردود أفعال لا أفعال، تجد الدفاع لا الهجوم، تجد

جهوداً طائلة منحصرة في باب، وأموراً تحتاج لأبواب تفتقد إلى من يطرق الباب، تجد غزو بعضها اهتماماً بلهو ولعب، وطلبة علم المسلمين يعملون لكي يقتاتوا، فمتى يتعلمون ويعلمون؟!! تجد أعمالاً لا أصل لها من كتاب أو سنة، تجد انغلاقًا على الباب، إلا لمن دخل الباب، ولو كان الغير من أهل الإسلام.

وما هذا من الإسلام!!

تجد انحصاراً في سلوك شخص، بين أقواله وأفعاله، دون النبي ﷺ وأقواله وأفعاله.

تجد فقراً في العلم، وندرة في الفقه، وضعفًا في الحديث.

تجد التزامًا بنهج، لطالما لدغت منه، لطالما فقدت فيه الكثير من الرجال والشباب، ومع ذلك لا اعتبار ولا فكر ولا حذر.

تجد أعمالاً لا تقدم ولا تؤخر، بل بها تخسر وتتأخر.

وتجد عند بعضها عاطفة وإحساسًا، ينتشرون في كل مكان، ويا لها من نعمة، لو اكتملت بعلم.

تجد عند بعضها افتقاداً لفقه السياسة الشرعية، والمصالح والأضرار، وتصرفًا بغير حسبان.

الإسلام يخسر يومًا بعد يوم بيد أبنائه، بتعصبهم وتفرقهم، وتنابذهم وتشرذمهم، لا اعتبار لوحي يجمعهم، ولو لواقع يردعهم، والدائرة تدور، وسوف نقول تباعًا "أكلت يوم أكل الثور الأبيض". أحوال تدمي القلوب كلها، ولا اعتبار ولا مجيب. نعم، فتن تجعل الحليم حائراً، ولو ألقى كل منهم نظرة لحال الإسلام لصرفه ذلك إلى العمل معًا من أجل الإسلام، فماذا يقول المرء بعد ذلك؟!

وحي لا يسمع، وقرآن لا ينفذ، وسنة لا تطبق من أناس يجمعهم الوحي ورايتهم القرآن وتربطهم السنة؟!!

ماذا يفعل المرء لكي يتحد أهل الإسلام قاطبة على كلمة سواء؟!!

لا أدري . . أحين يأتي الاستعمار الخارجي، أم متى؟!!

وإذا كان هؤلاء لا يجتمعون، فكيف يجتمع عوامّ المسلمين؟!!

ويا ليتنا في قرون الإسلام الأولى، لكننا في قرون، لم تبق إلا رسوم يسيرة للإسلام، ثم يكبر عليه أربع؟!!

ومع ذلك، فلا مجيب ولا مستجيب؟!!

ألا هل بلغت، اللهم فاشهد. . . .

وهناك أمر آخر، ألا وهو أننا لدينا مشكلة البطالة في العمل الدعوي، إذ لا يحمل هم الدعوة إلا أفراد قلائل خاصة مع استفحال أمراض الأمة.

فلقد أرسل الله عز وجل رسوله، محمداً ﷺ، كيما يذوق الجميع لذة الأمن والإيمان، والخير في الدنيا والآخرة، لاسيما وأنه وحي السماء الأخير إلى الأرض، حتى تقوم الساعة. ومن هذا المنطلق، كان نشر دعوة الإسلام في الأرض من آكد الواجبات على القائمين على أمر الإسلام. ولهذا، امتدت الفتوحات الإسلامية شرقًا وغربًا منذ وفاة الرسول ﷺ، وفي العصور الإسلامية كافة، حتى في العصور التي اعتراها شيء من الوهن. كان الكل يضع هذه الأمانة في عنقه، إلى أن ضيعت الخلافة الإسلامية، وتبعثرت دول الإسلام وتفتت، ووهنت وضعفت، بفعل قوى الداخل والخارج. وبدأت الدول الاستعمارية تنفث سمومها في كل موضع، وعبر كل ميدان، فتركت بعد رحيلها مسلمين بلا إسلام. أناسًا لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه، تاهت بهم السبل بين شهوة وغفلة، فأصبحوا يعرفون من أحوال الفاسقين والفاسقات واللاهين واللاهيات، ما لا يعرفون عن سيدنا محمد ﷺ وصحبه، ويحفظون من أغاني الفاسقين ما لا يحفظونه من قرآن رب العالمين، يضيعون رأس مالهم -

عمرهم وأموالهم - عاكفين أمام ما يفعله أولئك الفاسقين دون وحي رب العالمين.

إذا أطال الإمام في الصلاة لبضع دقائق تقوم الدنيا ولا تقعد، وأما أن كان هناك فيلم أو مسرحية أو مباراة، فذلك هو الأمر المستطاب.

ترى كلاً منهم مجادلاً عن قوله أو فعله، بغير سلطان ولا هدى ولا كتاب منير.

إذا دعوتهم إلى العلم والتعلم، ترى البعد والتباعد. فإن كانت الدنيا، رأيت القرب والتقارب.

تراهم يعضون على زلات العلماء وهفواتهم بالنواجذ، والله سائلهم عن وحيه، لا ما نهواه، وأمرنا أن نعض عليه بالنواجذ.

غزت الدنيا قلوبهم، وسيطر الهوى على فؤادهم، فترى أحدهم يتكلم بلسان الشيطان، متجنبًا وحي الرحمن!!!

سائرين وراء كل ناعق، ملبين دعوة كل فاسق!!

إذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوبهم، وإذا ذكر الذين من دونه، إذا هم يستبشرون!!

ما أعظم من يحل لهم الحرام، فذلكم المفكر المستنير العصري. فإن أبى، فهو الجامد ذو العقل المتحجر المتطرف، وهل كان النبي ﷺ كذلك؟! أليس ما يقوله هذا الجامد هو قول الرسول ﷺ؟!!

يتصيدون لخطأ واحد من الملتزمين، وهم على الخطايا قابعين!!!

ترى كلاً منهم يتكلم بلسان المجاهد الأمين، فإن جاء البلاء فهو الخائن بلا نظير!!!

ترى كلاً منهم يقاتل قتال الشرس العنيد إن كانت الدنيا، فإن طلب عُشره في الدين، ولاك ظهره، لابسًا ثوب الأخلاق الدنيا!!

تراه الساخر المتهكم المستعلي على الملتزم، الراكع الساجد المؤله لغير المحترم!!

كل جهاده عن الدين مجرد كلام، فإن طلبت منه العمل، لا تجد منه إلا الكسل!!

الحياة الدنيا عنده لهو ولعب، فإن جاء الموت صراخ وصخب!!

يأتيه البلاء بعد البلاء، ولم تجد منه عن المعصية جلاء!!

فإن ولى الموت أو البلاء، فبعداً لمن يذكره بيوم الفناء!!!

أسيراً للعادات والتقاليد، بريئاً من وحي من بيده المقاليد!!!

ومن هنا، تأتي أهمية الحوار مع المسلمين كلهم. وهنا فارق جدير بالملاحظة، إذ منذ بعث الرسول ﷺ وكل فرد منهم أمة تتحرك في سبيل الله، فأسلم من أسلم. ولم تكن القضية قضية إسلام المرء وكفى، ولا أدائه للشعائر ولا الشرائع، لكنها قضية نور يجب أن يصل إلى من في الظلمات حتى يعم نور الله في الأرض، ويعم الأمن والأمان، والمحبة والوئام، فكان كل من أسلم جيشاً يتحرك وقفاً لله تعالى، يتعلم ويعلم، يعرف ويدعو، يستنقذ الغرقان من موتى القلوب، ويروي العطشان بعد ظمأ الكفر، ويأخذ بيد الغافل إلى سواء السبيل، ويمنح الأمان لمن يريد الإيمان بلا أذى ولا فتنة. فأسلم على يد سيدنا أبي بكر أكثر من نصف العشرة المبشرين بالجنة، وليسأل كل منا نفسه: كم هدى الله به نفساً؟! وكم دعا المسلمين وغيرهم إلى الإسلام قولاً وفعلاً؟! هل جعل مما وهبه الله وسيلة لنشر الحق وإبطال الباطل؟!

هذا هو الفارق بيننا وبين هؤلاء العظماء.

فنحن نحتاج إلى جيوش الدعوة في الداخل والخارج، تأخذ بيد الحائرين، وترد شبهات الكائدين، وتصبر على لأواء الدعوة وأشواكها. نريد رجالاً يحاورون ويتحاورون في الإسلام وللإسلام، نريد حوار الدعوة. إن الأمة لا

تعتمد إلا على مجهود قلائل، ومنهم من يموت، ومنهم من ينكص على عقبيه مع أول شوك الدعوة. وإن الأمر ليحتاج إلى جهد كثير، وكلٌ حسب وسعه، ونقل صحيح الإسلام دعوة. أما أن ينكفئ كل على نفسه، وكأن النصر سينزل من السماء، ولا جهد ولا مجهود، ولا حوار ولا تحاور، اعتماداً على جهد العلماء والوعاظ، فهذا خلل كبير، ولاسيما أن المطلوب ليس إلا على وسع كل إنسان وعلمه. وهذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصح والتسامح، عبر دائرة الحوار، هو وقود الإسلام، الذي يحفظ الإسلام، ويلفظ خبث ما تعلق به زوراً وبهتاناً، ويأخذ بيد الغافل والتائه ويعود بهم إلى حظيرة الحق، ويسد الخلل الذي يحدثه المنافقون وغيرهم في هذه الأمة. ولا بد للعلماء من تذكير الناس بهذا الحوار، فهو من حوار الذات الذي يحافظ على خيرية الأمة، وصدق الله، إذ يقول تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠).

والحاصل، أن حوار الذات حوار مَن يحمل هَمّ الإسلام، ولننتقل منه إلى حوار أهل الإسلام قاطبة.

المبحث الثاني

الحوار مع الغير

هي قضية قضايا الإسلام التي لا تجد من يدافع عنها في زمن الغربة على نهج النبي ﷺ. فمع ندرة العلماء، وقلة الدعاة، واختلاف من يحمل همّ الإسلام، وتكاسل الناس عن أداء دورهم في نشر الإسلام، كانت أهمية الحوار مع الغير. فما وجهه الصحيح؟!!

وبداءةً، الغير المقصود به هنا هو غير المسلم دينًا.

ولقد سبق في الحديث عن مقومات الحوار(١) أنه لا بد ألا يخالف الحوار أصول وثوابت الدين. وتم التعرض بما يسمى بحوار الأديان، وبينت فساد هذا المسمى شرعًا والإطار الذي يجب أن يسير فيه طبقًا للوحي الإلهي، ومناطه هو دعوة غير المسلم للإسلام وأن ما يزعم من الالتقاء حول المحبة والسلام وغيرها لم ولن يحدث من جانب الآخر بدلالة القرآن، والتاريخ خير شاهد على ذلك منذ بعثة النبي ﷺ، وكفى بالواقع حجة لمن أراد الحق، بما لا يغني عن إعادة هذا الأمر ثانيًا.

وهنا نقطة هامة لا بد من إبرازها تتعلق بكثير من الموضوعات وتبرز كثيراً في مجال العلاقات الدولية، وهي أننا مسلمون. يحكمنا قرآن وسنة، فلم ينزل الله وحيه من فوق سبع سماوات حتى تزين به الحجرات أو يُقرأ في المقابر، فذلك من البدعيات. وإنما أنزله نبراسًا للأمة تهتدي به في هذه الدنيا، لاسيما وأنه حوى أصول كل شيء.

وإذا قدر لشرع الله في غير مجال ألا يرى النور في هذه الأزمان، فلا أقل من أن يوضح حكمه ويبين سلطانه عسى أن يؤوب الجميع إليه، فالكل يتكلم بأن

---

(١) راجع ص ٤٥ وما بعدها

القرآن وسيلة الهداية والإرشاد، لكن عند الواقع نفتقر للرؤية الربانية للمشاكل التي تعجّ بها الأرض؛ إذ تجد الكل ينطلق من رؤية غير شرعية لحل تلك المشاكل، وهذا من الضلال المبين، ونظرة واحدة لحال العالم المعاصر تؤكد ذلك، رغم فساد ما يقدم، وعدم حله لتلك المشاكل، وتجد الكل يتشدق بها وكأنها الوحي الإلهي، فكفى ضياعًا للبشرية بذلك.

وتزداد حيرة المرء من أناس يدشنون الموضوعية في كتاباتهم، لكن يقلل منها اعتمادهم على عقلهم دون التوصيف الأمثل في كل قضية في قرآن ربهم، فلا زالت توجد فئة تحرص على التقاط رأي هنا أو هناك كيما تصف الآخر بسمات قلبت صفحات الواقع، فلم أجد لذلك صدى يذكر، بل وينحى الدين عن القضية، رغم أنهم ينطلقون من معتقداتهم الباطلة ، بل قد زلف اللسان بها، وما تخفي صدورهم أكبر!! فإذا كنتم لا تصدقون قرآن ربكم!! فماذا تنتظرون من الواقع أكثر من هذا؟!! حتى يأتي العدو على فراشكم!!!

إن الأمر جد خطير، وذلك نتيجة البعد عن وحي السماء، ويزداد عجب المرء من استدراج طائفة من علماء الدين وراء هذه الترهات فيتكلمون بلسان الآخر لا بلسان الوحي، وكأنه لم يوضح ذلك أو يفصله، وهذه أمانة عظمى، فلو تبع العلماء غيرهم فيما فيه وحي ربهم، فهذا نذير ضياع البلاد والعباد، ولو تزيّا الكل برداء المصلحين، فما يسع العلماء إلا أن يبينوا منهج الإصلاح الإلهي، ولو كره من كره، حفاظًا على الأمة، والتاريخ المعاصر شاهد بم كان النصر؟ ومن هم رجاله؟ ومن الذين يفتحون صدورهم للشهادة كل يوم دفاعًا عن الأقصى الجريح؟

ومن أي منطلق ينطلقون؟ وفي هذا عبرة لمن أراد الحق.

والموت قادم ، والله أعلم بما في الصدور، وسوف يسألنا الله عن وحيه الذي أنزله، لا ترهاتنا التي نهواها، أو السراب الذي نجري وراءه!!!

الفصل الرابع

بين الحوار والمواجهة

- المبحث الأول : الإسلام بين الحوار والمواجهة .
- المبحث الثاني : الغير بين الحوار والمواجهة .

الفصل الرابع

بين الحوار والمواجهة

يعتبر الحوار منظومة تعادلية، وتياراً متصلاً من الأفكار، يسري بسريان العلاقة بين المتحاورين، بل ويمتد الحوار كذلك حال اختلاف الرؤى وتضارب الأفكار، متى استوفى الحوار مقوماته، وتمت شروطه، واستكملت آدابه.

وفي هذا الصدد، إذا كان الأمر حال الاختلاف، فإن الرأي يطرح في مقابله الرأي الآخر، ويسرد كل حججه، ويوضح سلطانه، ويبطل أدلة خصمه، ويفعل الثاني كذلك ، وينتهي الأمر بالطرفين إلى عدم الاتفاق، وإن ظل شريان الحوار متدفقًا.

وقد يصل الحوار إلى طريق مسدود لا رجوع بعده، فيصل الأمر بالطرفين إلى نقطة اللاحوار. ويا ليت الأمر يصل لهذه فحسب، بل ينتقل الأمر باللاحوار إلى المواجهة، المواجهة التي لا مجال فيها للفكر ولا للعقل، بل المجال فيها للقوة. بل إن طائفة من المتغطرسين، سواء على مستوى الفرد أم الأمم، تطرح الحوار جانبًا منذ البداية، منتهجة أسلوب المواجهة. فلا تقيم للفكر وزنًا ولا للعقل حسبانًا. وتلكم هي شريعة الغاب، التي لا تؤمن إلا بالسيطرة واستعمار الغير، بل قد تصبغ أفعالها بثياب من الشرعية، هي بريئة منها. فإن لم تفلح الشرعية في تحقيق مآربها السلطوية. فهاكم المواجهة والقوة، وحدّث ولا حرج عن هذا بين الأفراد والأمم في ظل غياب شرع الله على الأرض. إذ فقد الحوار مكانه الآن، لتحل محله لغة المواجهة، فتجد من اختبره الله في مال أو جاه أو سلطان، لا يعرف لغة الحوار، وإنما لغة المواجهة.

وهكذا في الدول، ترى حوارها حواراً مترهلاً لتضييع الحق أو لإرساء الباطل. فتفعل من الحوارات الكثير ولا تحترمها، ثم تكشف عن وجهها

القبيح، ضاربة عرض الحائط بشرعية الحوار، ولا بما يحلونه عامًا ويحرمونه عامًا، أقصد الشرعية الدولية المزعومة، والتي لم تُستخدم إلا ضد الإسلام وأهله، وللدخول في سراديب السراب، لتحقيق مآربها ومصالحها. بل مما يزيد الأمر سوءًا أن تجد هؤلاء الذين يرفعون رايات المواجهة يطعنون في الإسلام، بزعم أنه لا يعرف لغة للحوار، وأنه بينه وبين الدماء معاهدات، فهو لا يعرف إلا لغة الدم، وتاريخه حافل مليء بالإرهاب والمواجهة. فيقولون: وهاكم ما تزعمونه من إسلام يشرع القتال من أجل فرض الرأي وسفك الدماء. بل، ويسمون المسلمين بذلك، والقصد الإسلام، مطالبين المسلمين بلغة السماحة والاَعتدال ونبذ الإرهاب وما تدعو إليه مناهج المسلمين، وفي كتبهم. من شعارات تحريضية تبث الكراهية ضد الآخر. فأي زمن هذا الذي نعيش فيه؟! أمم لا تعرف الحق والعدالة منهجًا، أمم تعلن الكذب والاحتيال شعارًا، أمم تبث سمومها لتحقق أغراضها، ولا ندري من الذي حفل تاريخه بالدماء؟

من الذي يمتلك أسلحة الدمار الشامل أساسًا؟!

من الذي استعمر الشعوب ونهب الثروات؟!

من الذي اغتصب الأراضي وهجر أهلها ودمر بنيتها؟

إن الإحصائيات تقول إن ما شهده القرن الأخير من قتل ودمار فاق كل ما كان في القرون الخالية. ومع ذلك، فسنعرض صفحة الإسلام البيضاء النقية، في مواجهتها، كما عرضناها في حوارها، ثم ننتقل إلى الغير والواقع الأليم، لنعلم من الصادق ومن الكاذب؟ والواقع خير شاهد.

وإزاء ما سبق، يدور الفصل الحالي حول مبحثين اثنين :ـ

- **المبحث الأول: الإسلام بين الحوار والمواجهة.**
- **المبحث الثاني: الغير بين الحوار والمواجهة.**

المبحث الأول

الإسلام بين الحوار والمواجهة

لقد كتب على الإسلام في هذه العصور أن يكون مظلومًا، نعم، مظلومًا بين أهله. فكيف بغير أهله؟!!

ظلم الإسلام بين أهله، فما عرفوا للإسلام حقه، ولا قدروا له قدره. فلقد حمل الإسلام مشعل الهداية والنور عبر آلياته المختلفة من عبادات ومعاملات، فترك الناس الإسلام إلا ظاهرًا، فضاعوا وأضاعوا وحُرموا من الخير الكثير، فبات من في قلبه مرض يضرب في الإسلام ضربًا ويطعنه بعدم الصلاحية، رغم أنه لم يجد الأرض التي تطبقه حق التطبيق، ولا الأشخاص الذين يطبقونه ويقومون به حق القيام، بعد عصور الإسلام الأولى.

فلِمَ تظلمون الإسلام، رغم أنه لم يجد نور التطبيق؟!

لِمَ تلبسون الحق بالباطل، وتكتمون الحق وأنتم تعلمون؟!!

وتعالوا على عجالة لنعرف أين نحن من الإسلام؟! وأين الإسلام منا؟!! فمنحى الإسلام الأول العقيدة، عقيدة التوحيد، التي توحد الله عز وجل في كافة تصرفاته، لا تركع ولا تسجد إلا لله، تحتمي بحماه، وتسأله، وتستعين به وتتوكل عليه، وتبتغي الرزق عنده، وتفوض أمرها إليه، لا تعرف للأشخاص سلطانًا، عند الله، فكيف يكون معه؟!! أو لها فقط؟!!

تعطي لكل حقه وقدره، فالعبد ليس إلا عبدًا، وإن كان رسولاً فليس له من صفات الألوهية من شيء، فكيف بمن هو أدنى؟!! والرب له العبودية الكاملة، تؤلهه بقلبها وقالبها، تتبعه في الشعائر والشرائع، انطلاقًا من كونه الملك، الذي لا شريك له في سلطانه. فلا تحلل الحرام، ولا تحرم الحلال. وإن اجتهدت ففي إطار شرع الملك، الذي بيده الأمر والنهي، لا بيد جهال العباد، تلك العقيدة

التي لا تعرف إلا الله عز وجل، فهو بيده النفع، ويقدر الضرر. فلا تؤله الأسباب، تعرف أن الله عز وجل بيده الأمر كله، وإليه يرجع الأمر كله، وكل خاضع تحت سلطانه، فالبلاء منه لا من الطبيعة، والأرزاق بيده، وإن تظاهر المتظاهرون بغير ذلك، والضرر هو يقدره اختبارًا وابتلاءً، فليس لأحد سلطان على الأرض إلا بإذنه، فلا يخرج فعل إلا برضاه، فلا يملك أحد النفع، فضلاً عن الضر لنفسه، فكيف يملكه لغيره؟!!

أما الواقع، فحدث ولا حرج، في مجتمع لا يعرف من يرزقه عملاً، فترى منه الخضوع والخنوع للأشخاص، تعظيمًا وذلاً، رغبةً ورهبةً، ابتغاء النفع ومنع الضرر بزعمهم. ترى من الواحد الركوع والسجود للأشخاص، والابتهال والتأله له، ولا يعرف ربه إلا عند المصيبة. ثم لا يلبث أن يعود ثانية بعد رفع البلاء.

ترى سوط الرهبة قائمًا، من شخص لو أصيب بمرض لصرخ منه، ومع ذلك ترى الناس فزعين هيابين وجلين من هذا وذاك، ولو على حساب أوامر الله، ولو تخاذلاً عن أداء واجبات الدين.

على النقيض، تجدهم مجترئين على حدود رب العالمين، ولا تسمع منهم إلا أن الله غفور رحيم، مع حالهم هذا؟!!

إذا قلت لهم أمر الله في هذا كذا، ترى منهم الجدال والمحاجة. وإن قارعتهم بسلطان الحجة، لا تجد منهم إلا الخوف والرعب، ممن لا يملك لنفسه شيئًا، فكيف لغيره؟!!

تذكرهم بالقضاء والقدر، وبأن كل شيء مكتوب، لكنهم لا يؤمنون إلا بالمنظور!!!

تذكرهم بآيات القضاء والقدر، فيكملونها لك، لكنها لا أثر لها في قلوبهم ولا أعمالهم.

وحدث عن عبادة بعضهم، تراهم يؤلهون الأموات، ويسألونهم، ويستعينيون بهم ويستغيثون؟!!

أموات يستغاث بهم؟!! سبحان الله؟!!

أموات يطلب منهم النفع؟!!

إذن، لماذا جاءت الرسل وأنزلت الكتب؟!!

إذن، لماذا ضل غير المسلمين!!

هل هذا هو الإسلام الذي يدعى به غير المسلمين؟!!

ولم يفعله الرسول ﷺ، ولا صحبه الكرام؟!!

فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون؟!!

ترى تشريعات ما أنزل الله بها من سلطان؟!!

من أتيتم بها؟ أليس دينكم الإسلام؟!! وربكم الله؟!!

إذا كنتم تحصرون الشرع في العبادات، على النحو المتقدم، وتحسرونها عن المعاملات، فأين الإسلام إذًا؟!!

أنزل الله تشريعه لنطبق ترهات البشر؟!!

الوحي الذي أنزله الله من فوق سبع سموات ينحى تحت مزاعم ما أنزل الله بها من سلطان، ثم ننتظر النصر والرزق؟!!!

إن البون شاسع بيننا وبين عقيدة الإسلام، إذا لا تجد منا إلا الكلام والقول، دون الفعل والعمل.

أما عن العبادات، فلقد شرع الله العبادات من صلاة وزكاة وصيام وحج، كي تتوثق الصلات بين العباد وربهم، ويحدث التكافل الاجتماعي، وتتطهر النفوس ظاهراً وباطنًا، فأين نحن من ذلك؟!!

أما عن الصلاة، فكم من الناس يصلون؟!!

والباقي، أليسوا مسلمين؟!!

ومن يصلي، هل يصلي عادة أم عبادة؟!!

ثم، هل صلى كما صلى النبي ﷺ، أنا على يقين جازم من انتفاء ذلك!! وحال الناس معلوم، وصفة صلاته ﷺ معلومة؟!

وهذا في الصلاة، فكيف بغيرها؟!!

وإن صلى، وفتح الله على الإمام ببضع آيات، كيما تشفى صدورنا، ونرتاح بها، ترى الدنيا تقوم ولا تقعد، ولو كان ذلك في الدنيا، فهنيئًا بها!!

ثم من يصلي الصلوات في جماعة؟!! وهل من يصلي في البيت لديه أعذار النساء أو غيرها؟!!

وماذا أثمرت الصلاة في قلوبهم؟!! وواقع الحال يغني عن المقال!!!

أما الزكاة، فلقد سمعت من البعض أنه لا يعرف أن هناك زكاة تفرض على المسلمين؟!!

وهل كل من يعرفون يدفعون الزكاة؟!!

وهناك من يستفتون ليجدوا مبررًا لدفعها لذويهم، رغم أنهم لا يستحقون!!

ولو دفعت زكوات المسلمين في مصارفها الشرعية على مستوى أمة الإسلام، فهل تجد هناك فقيرًا؟!!!

أما عن الصيام، فهم يمنعون الأكل والشرب والمباح، ويأتون المحرمات!!

ترى الظلم وأكل أموال الناس بالباطل والغيبة والنميمة والعكوف لرؤية المحرمات!!!

أهؤلاء يفهمون معنى الصيام؟!!

أما الحج والعمرة، فترى العجب، إذ إن الإحصائيات تقول إن قليلاً مما يحجون هم الذين يؤدون حجة الفريضة، أما الأكثرية، فهم يكررونها المرة بعد المرة، وبجانبهم الفقراء والمساكين والمرضى والمعوزين، والضعفاء والمحتاجين.

وعلى بُعد كيلو مترات، أمم تذبح، تنتهك أعراض نسائها، ويقتل رجالها، وترمل نساؤها، وييتم أطفالها، ويبطش بشيوخها، وتقتلع أراضيها وتدمر بنيتها، ويهجرون من منازلهم. وما زالت الدماء تنزف يومًا بعد اليوم، وهذا في شتى بلدان العالم الإسلامي. فإن انتقلنا إلى الداخل، ترى فقر طلبة العلم والعلماء، لاسيما الوافدين والوافدات من الخارج للتعليم. تراهم يحتاجون إلى أقل القليل، والكل معرض عنهم، حتى إن أفواجًا كاملة كانت ستعود إلى بلادها، وغير ذلك من الأبواب المفتوحة التي لا تُسدّ قطّ، فأيهما أولى يا أرباب العقول؟!!

إن الإسلام كما يحتاج إلى العلماء، يحتاج إلى أموال، للقيام بالدعوة على أحسن ما يكون. إن التبشير ينطلق في كل مكان، ومع الدعم المادي والمعنوي، معهم المليارات وتراهم يقدمون أفخم الخدمات وأعلاها، فكيف بالإسلام؟!!

وأين أمة الإسلام من ذلك؟!! وهل السماء تمطر ذهبًا أو فضة؟!!

وكيف ينتشر الإسلام في الخارج؟! أم سينتشر بالقيل والقول فقط؟!!

يبدو أننا لم نفهم الإسلام حق الفهم، ولذا ظلمناه وظلم معنا.

أما عن فقه المعاملات الأخرى من بيع وشراء وإيجار وشركات وغيرها، فإن جل الناس لا تعرف عنها شيئًا!!

فكيف تحلّ الحلال وتحرم الحرام فيها؟!!

وهذه من الكوراث المطبقة ببلاد المسلمين إزاء تطبيق القوانين الوضعية، إذ يلزم المسلمين تعلم أحكام دينهم في هذه المسائل؛ حتى لا يقعوا في محرمات المعاملات، وهم لا يدرون!!

وإن كثيرًا من أفعال المسلمين في هذا الجانب، هي من المحرمات المقطوع بها، والناس غارقون فيها.

أما عن الربا، فحدث ولا حرج كذلك، والمهم هذه الأموال كم تأتي بفائدة؟!!

أما التأمين، فمن منا يطبق التأمين التعاوني؟! أما عن التأمين المحرم فحدث ولا حرج، وإنا لله وإنا إليه راجعون!!!

أما عن القمار المعاصر والمسابقات التليفزيونية، فالمهم الربح المادى؟!! وليس بعد ذلك شيء.

وإذا تحدثنا عن النظم المعاصرة: سياسية واقتصادية ومالية واجتماعية وإدارية وجنائية ودولية، فالناس تسمع عن مصطلحات ونظريات وتصورات، وتتكلم بها، وتنطق بلسانها، وتنادي بها، وتسعى إليها، وتجري وراءها، فأي حسرة تلك؟!! وأين هي من الإسلام؟!!

أما عن الأخلاق، فلقد أصبحت تتوارى بعد المصلحة وبعد المادة، ويزن الفرد أفعاله وأقواله طبقًا لذلك، ولو طعن الأخلاق في مقتل، ثم يظن نفسه مسلمًا كامل الإسلام؟!!

فهل هذه الأمور، وهي نقاط من بحور الظلمات التي نحيا فيها ليل نهار، تمتّ للإسلام بصلة؟!!

هل هذا هو الإسلام الذي أنزله الله على رسوله ﷺ؟!!

ثم يأتي بعد ذلك أناس يطعنون في الإسلام بعدم الصلاحية؟!!

فأين الإسلام أساسًا؟! وأين هم المسلمون فعلاً؟!!

وإذا ظلم الإنسان بين أهله، فماذا تنتظر ممن لايرتضونه لهم دينًا؟!!

وإذا كان المسلم فاقداً لإسلامه، فكيف يعطيه لغيره؟!!

كيف ننقل دعوة الإسلام للخارج؟!!

والغير يخلط حال المسلمين ويربطه بالإسلام، وما درى أن المسلمين لم يقوموا بإسلامهم حق القيام، إنما لا يعرفون من الإسلام إلا رتوشًا قليلة،

فكيف بالعمل؟!! حيث كان ظلم الإسلام عامة، كما تقدم، متفشيًا فكيف في قضيتنا هذه، الحوار والمواجهة!!

إن الإسلام قد دعا إلى الحوار مع النفس والذات، ودعا إلى حوار الآخر رحمة به، وإنقاذًا له من ظلمات الكفر، إلى نور الإيمان، وأخذًا بيده إلى توحيد الله عز وجل. ورايته في هذا كله الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن. قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥). بل أمر الله تعالى بمحادثة أهل الكتاب خاصة بالتي هي أحسن، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٦).

انظر سمت الوحي الإلهي.. انظر إلى الدين القيّم.. انظر إلى صبغة الله ﷻ.. مجادلة بالتي هي أحسن، لا بالحسنى فقط، ولكن بالتي هي أحسن. فإن أبوا الدخول في الإسلام بعد دعوتهم إلى الإيمان بالله وتوحيد، فلا نملك إلا أن نقول صراحة وجهرًا: نحن المسلمون، إعلاء لكلمة الله عز وجل، وتحفيزًا لهمم من ابتعدوا عن الحق.

ونظرًا لعظمة الإسلام، وكماله، واحتوائه كل ما فيه خير للبشرية، وأنه يجعل المساواة من أهم دعائمه، فلا فضل لشخص على آخر إلا بالتقوى. قال عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣). وقال رسول الله ﷺ[1] "إن الله لاينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم".

(١) صحيح مسلم برقم(٢٥٦٤).

فلا تمييز لجنس ولا لعصبية ولا لطائفة ولا لفئة، فكل الناس من تراب، وكلهم من نفس واحدة، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾(النساء: ١)

فهذه عظمة الإسلام، ولكن تأبى طائفة أن يتساوى الفقير بالغني والضعيف بالقوي. هذه الفئة تريد أن تستعبد الناس، وتجعلهم رقيقًا لديهم، يعبدونهم ويؤلهوهم، يريدون أن يستأثروا بكل شيء، يريدونها كلأ مباحًا بلا ضابط أو رابط، يريدون المال والجاه والسلطان والنساء. يريدون أن تكون الكلمة كلمتهم لا كلمة الله. يريدون الظلم والبغي والتكبر والتجبر، وإن قلت لهم خلوا بين الناس ودين ربهم، خلوا بين الناس وفطرة بارئهم، استكبروا وتجبروا. لا تجعلونها فتنة تصد الناس عن الله عز وجل، لا تصدوهم بالحرب الإعلامية، لا تصدوهم بالحرب النفسية، لا تصدوهم بالحرب الأمنية، لا تصدوهم بالحرب الاقتصادية، ما الذي يضيركم أن تؤمن الناس كلها لله؟!

ما الذي يضيركم أن يدخل الناس في دين الله أفواجًا؟!

ما الذي يضركم أن تكون كلمة الله هي العليا؟!!

إن الإسلام دين الرحمة، والعدالة، والمساواة، والخير، والرشد، والهداية، والصلاح، والإصلاح. إنه الدين الذي اختاره الله عز وجل لختام البشرية. إنه الوحي الأخير من السماء إلى الأرض.

ولنحتكم للحق، نحتكم للديموقراطية المزعومة، أليس من الحقوق التي تزعمونها حرية التدين، لماذا تحجرون على عقول الناس؟!!

لماذا لا تتركون فرصة لبث دين الله عز وجل؟!!

لماذا تصادرون بعض الكتب من دولكم؟!!

أين حرية التدين المزعومة وسط هذه الحرب المسعورة على الإسلام؟!!

اتركوا الإسلام يفصح عن نفسه، لماذا تحاربون الإسلام ثم تزعمون حرية التدين؟!!

لماذا تقفون أمام فطرة الناس؟!!

إن الإسلام لا يكره أحدًا على الدخول فيه، قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ (البقرة: ٢٥٦) وقال تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ (يونس: ٩٩) وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ * لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾ (الغاشية: ٢١-٢٢)، وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ (الكهف: ٢٩).

هذا هو الإسلام، لا يكره أحدًا على الدخول فيه. لا يجبر أحدًا على اعتناقه، لا سبيل لأحد في فرض الإسلام على الناس. كل إنسان حر في أن يعتنق ما يشاء. كل له الخيرة في أن يكفر قبل أن يؤمن. لكن هذا بعد بيان الحق، وتبيان الإسلام، لترى الناس عظمته، ولتعرف ما هو الإسلام، وحتى يكون المناخ مهيئًا للإسلام لمن أراد أن يسلم. أما أن تكون حربًا ضروسًا على الإسلام، لمنع الناس في الدخول في الدين، وفتنة الناس عن دينهم، ومحاربتهم بكل وسيلة، حتى يعرف الناس الحق، فهل يرضى بهذا عاقل؟!!

إذا منع شخص الخير عن طائفة، ولم يفلح الحوار معه، وتسلط وبغى، فما الحل؟!!

كيف يصل الخير للناس؟! كيف يصل النور للناس؟!!

من هنا شرع الجهاد في سبيل الله عز وجل لمنع من يفتن الناس عن دينهم، وبعد ذلك فالحرية لكل فرد، فالكل يختار ما يراه. أما أن يسام كل من يتمسك بالدين سوء العذاب، ويذبح أبناؤه، وتستحيى نساؤه، فأين حرية التدين تلك؟!!

هذا هو منهج الإسلام في هذا الشأن، والتاريخ شاهد بذلك. فما أكره أحدًا على الدخول في الإسلام قط، وإلا لم يكن هناك أحد غير المسلمين موجود

الآن، خاصةً في ظل خلافة استمرت ثلاثة عشر قرنًا من الزمان. بل أكثر من هذا، لقد نَعِمَ غير المسلمين تحت شرع الله ما لم ينعموا في غيره.

فهذا حَوار الإسلام، وتلك مواجهته، الرحمة في الأولى، والسماحة في الثانية، مواجهة لإزاحة من يمنع الخير عن الناس، إن أباه؟!!

مواجهة لتحقيق الخير للناس، مواجهة لإيصال النور للبشرية، مواجهة فيها من القواعد والأصول ما لم يطبقه من ينادون بحقوق الإنسان زوراً وبهتانًا. إن الإسلام حتى في مواجهته لا يتعرض لامراة، ولا لطفل، ولا لشيخ، ولا لعجوز، ولا لراهب في صومعته، ولا لأجير في إجارته طالما لم يكونكوا من أهل القتال أو معاونيهم بأية صورة. إن الإسلام لا يدعو إلى تدمير الثروات، ولا البطش بالناس والتنكيل بهم، ولا إتلاف المزروعات ولا المرافق الرئيسية للبلاد.

إن الإسلام دين الإنسانية، دين الرحمة. إن الإسلام يحترم المواثيق والعهود. قال تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ (الأنفال: ٧٢)، فإن خانوا، نُعْلمهم أولاً بالحرب من جانبنا، وإن عادوا إلى السلم نَعدْ له. قال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (الأنفال: ٦١). بل، ولو كان في نيتهم الخداع، قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: ٦٢). وإن كان هناك أسرى، فحدث عن حسن المعاملة، بل جعلها الله تعالى من القربات ومن الأعمال العظيمة. قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۞ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ (الانسان: ٨-١٠).

هذا هو الإسلام حواراً ومواجهة، فكيف بحوار الغير ومواجهته؟!!

المبحث الثانى

الغير بين الحوار والمواجهة

رأينا كيف أن الإسلام دين راق سمح، الرحمة سمته، والإنسانية رايته، يحتكم إلى الحوار مع أهل الحوار، ويعظم الحوار متى ظهرت جدواه، ويريد الخير للناس، وإيصال الحق للبشرية أجمعين، بلا كره ولا إكراه، فأين حوار الغير ومواجهته؟!!

أما عن حوار الغير، فلقد رأينا شعارات ترفع، ورايات تنمق، ومصطلحات تسبك، لكن لا تجد صدى إلا عند الغير ولمصلحته. أما حين يخص الأمر الإسلام وأهله، فتخفض تلك الشعارات المرفوعة، وتتوارى تلك الرايات المنمقة، وتختفي المصطلحات المسبكة. تسمع عن الديمواقراطية، تسمع عن حقوق الإنسان، تسمع عن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، تنظر لميثاق الأمم المتحدة، تنظر عند التطبيق لدى المسلمين، فلا تجد شيئًا يذكر من هذا. وكفى بفلسطين حجة، والتي صدرت عن تلك المنظمة العالمية ـ منظمة الأمم المتحدة ـ قرارات وقرارات بشأنها، لكنها لا، ولن تطبق؟!!

حينما تعقد المعاهدات، وهي نوع حوارات، وتدشن العهود والمواثيق، ثم تجد نقضها في كل مرة، لا تجد احترامًا لعهد ولا لميثاق، فأي حوار هذا؟!!

وإن جلست مع الغير متحاوراً، فلا تجد إلا الأقوال المرسلة والكلمات المطلقة، أين هذه من التطبيق؟!!

أيها الغير المتحاورون: لماذا لا تطبقون ما تقولون؟!! لماذا؟!!

لماذا هذه الحرب في كل مكان ضد المسلمين؟!!

هل من رقي الحوار، أن يطعن الإسلام بلا أدلة تؤيد ذلك؟!!

هل من رقي الحوار ألا تتاح الفرصة لبيان حقيقة الإسلام؟!!

ثم هل من العدالة أن يضرب القوي الضعيف، ويستأثر الغني بثروات الفقير؟!!

أين الحوار في ذلك؟!!

هل من الحوار أن يعطي الغير نفسه الحق في أن يمنح هذا، ويمنع هذا، ويضرب هذا، ويقتل هذا؟!!

هل من الحوار أن تباد شعوب بأكملها، ويضيق عليها الخناق اقتصاديًّا؟

هل من الحوار أن يقتل الأطفال، وترمل النساء، وتنتهك أعراضها، ويباد الشباب؟!!

هل من الحوار أن يحلون ويحرمون بحسب المصالح والأهواء؟!!

أين العدل في ذلك؟! أين الضمير الإنساني؟!! أين لغة الحوار؟!!

هل من الحوار أن يحجر الغير العلم والخير والثروات وأن تظل دائمًا تابعًا له؟!!

دلونا على حوار واحد أثمر ينعه، إن لم يكن لهدف خفي أو تضييعًا لوقت أو تمريرًا لهدف أكبر أو غيره من فنون الخداع في الحوار.

هذا عن الحوار، فكيف بالمواجهة. إن مواجهة الغير لا تحمل إلا كل قسوة للإنسانية. نعم القسوة والتدمير، وانتهاك الأعراض، وقتل الأطفال، وإبادة الآلاف، وتدمير للبنية التحتية، وهدم للثروات، وإبادة لقرى بأكملها، بلا رحمة ولا إنسانية، مع البطش والتنكيل، والإتلاف والتقطيع، وغير ذلك.

فإن كان هناك أسرى، فحدث عن اللاإنسانية، حدث عن معاملة الأنعام لا الإنسانية، حدث عن تضييع الحرمات، حدث عن أشد أنواع التعذيب لاستخراج المعلومات، حدث عن إهدار الآدمية. وفي هذا، فحدث ولا حرج.

وكل ذلك من أجل ماذا؟!! من أجل تحقيق المحبة والسلام؟!! من أجل تحقيق الخير العام والوئام؟!!

من أجل أن يسود الأمن والأمان والاطمئنان؟!!

من أجل تحقيق العدالة والمساواة وكافة حريات وحقوق الإنسان؟!!

لا، إنه من أجل أن يسود تحريفهم ظلمًا وبغيًا؟!!

من أجل أن تفرض على الناس قهراً وقسراً؟!!

من أجل، الحصول على منابع الثروات واستعمار الناس دينيًّا. وسياسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا وفكريًّا وإعلاميًّا وأمنيًّا وغير ذلك.

أين حقوق الإنسان في هذا الموطن؟!! أين حريات الإنسان؟!!

بل أين الحوار؟!! وأين لغة الحوار؟!! أين الإنسانية؟!!

أين الضمير؟!! أين الحق؟!!

بل أين أنتم من رقي الإسلام ومن عظمة الإسلام؟!!

أين أنتم من سماحة الإسلام ورحمة الإسلام؟!!

أين أنتم من إنسانية الإسلام وعدل الإسلام؟!!

أين أنتم من حوار الإسلام ومواجهة الإسلام؟!!

شتان شتان، بين الخير والشر، بين القول والفعل، بين الشعارات الزائفة والحقائق الملموسة.

فهلموا وتعالوا لتتعلموا كيف حوار الإسلام؟!!

هلموا وتعالوا لتتعلموا كيف مواجهة الإسلام؟!!

هلموا وتعالوا لتتعلموا من الوحي الإلهي!!!

هلموا وتعالوا لتتعلموا من الخير والنور والهدى، رحمة بالإنسانية، وشفقة بها، إذ بعد أن وصلت إلى أعالي التقنيات، ارتكست أيما ارتكاسة في الجانب المعنوي والروحي والإنساني.

إن حضارة لا تقيم وزنًا ولا اعتباراً للإنسانية، لا تعترف إلا بالمصلحة أو الهوى، لا تنظر إلا للمادة أو السيطرة. لا تعترف إلا بالقوة وبشريعة الغاب، لا تعرف معنى للرحمة ولا للعدالة لا المساواة، فقد آذنت بالرحيل، إذ لا تصلح تلك الهمجية لبني الإنسان، ولا تنفع شريعة الغاب في قرار ولا استقرار، ناهيك عما هي مستفحلة بداخلها من انعدام الأمن والأمان، وتشريع الشذوذ واللواط، والتفكك الأسري، والتهلهل الاجتماعي، وانعدام المعاني الروحية، وانتفاء السمات الأخلاقية، وإعلاء شأن المادية البغيضة حتى ضاع المعروف، وانتفى الخير، وسادت العداوة والبغضاء، والحروب والصراعات. وزاد الهرج والمرج، في كل أنحاء العالم، وما خلق الله البشرية لتشقى هكذا، ما خلقها ليعيش العالم على أنهار من الدماء لا تنتهي، ما خلقها ليرتكس العالم كله، الارتكاسة المعاصرة في كل جنبات الحياة.

والحاصل من كل ذلك، أن للحوار مجاله، وللمواجهة مجالها، ولكن بالحق وللحق، ومن أجل الحق. وهذا هو شعار الإسلام قولاً وعملاً، سلوكًا وتطبيقًا، على مر العصور والأمصار، والأمكنة والأزمان بخلاف الغير، والذي لا يعرف للحوار لغة، ولا للمواجهة مبدأ، وواقع الحال يغني عن المقال!!

الفصل الخامس

ثمرات الحوار في الدعوة والتربية والثقافة

المبحث الأول : ثمرة الحوار في الدعوة

المبحث الثاني : ثمرة الحوار في التربية

المبحث الثالث : ثمرة الحوار في الثقافة

الفصل الخامس

ثمرات الحوار في الدعوة والتربية والثقافة

إن الفلاح حينما ينوي زراعة أرضه، يفعل كل الوسائل للحصول على الثمرة المرجوة منها، فيضع البذرة، ويتعهدها بالرعاية، ويتولى سقياها، ويلفظ عنها كل خبيث وضار. ويستخدم من المبيدات ما يساعده لذلك، ويحرص على أن يتم ذلك في الزمان والمكان المناسبين، مع استفراغ الجهد في كل ذلك، مستعينًا بالآلات الحديثة والتقنيات المعاصرة. ثم يسأل الله تعالى بعد كل ذلك أن يوفقه لما يريد، فإن أراد الله عز وجل بزوغ الثمرة، فتراها ثمرة هنيئة مريئة، وافرة متوفرة، طيبة لا خبث فيها، فينثرها وينشرها في ربوع الأرض، فتكون خير طعام للناس، وخير أمان للدولة.

وهكذا في الحوار، فمتى استوفى مقوماته، وحصل شروطه، واكتملت آدابه، وتُخلِّي عن عوائقه، فلك أن تنتظر ثمرته. نعم ثمرته المرجوة، في كل ميدان. وإذا كانت ثمرة الأرض مادية محسوسة، فإن ثمرة الحوار معنوية غير ملموسة، لكنها أعظم أثرًا، وأفضل نتيجة؛ إذ بها تكون قد توصلت إلى أطايب الفكر، ومحاسن النظم، تكون الدعوة قد أتت ثمرتها، إن كان الحوار في الدعوة، تثمر شجرة التربية. إن كان الحوار في التربية، تتحصل على عظيم الثمرة في الثقافة. إن كان الحوار بصدد الثقافة، وهذه الثلاث مما يحتاج المرء فيها إلى نوع بسط.

وعليه، وحتى نستفصل على ثمرات الحوار في هذه المجالات الثلاثة، في الدعوة والتربية والثقافة، يمكن تقسيم الفصل إلى ثلاثة مباحث كما يلي:ـ

المبحث الأول: ثمرة الحوار في الدعوة

المبحث الثاني: ثمرة الحوار في التربية

المبحث الثالث: ثمرة الحوار في الثقافة

المبحث الأول

ثمرة الحوار في الدعوة

الدعوة لفظة بسيطة، لكنها تنقل الأشخاص من الظلمات إلى النور، وكفى بهذا توضيحًا لأهميتها. ولهذا، تعتبر الدعوة جيش الإسلام الفكري، الذي يحرك به القلوب والعقول، ليأخذ بناصيتها إلى سواء السبيل.

ولهذا، ينتظم تحت لواء هذا الجيش كل مسلم، وكلٌّ بوسعه. فليس متطلبًا في عسكري الدعوة أن يأخذ فرقًا عسكرية متعددة، ولا أن يلتحق بالأكاديميات العسكرية، لكنه يكفيه أن ينشر النور الذي اكتسبه إلى الغير. فلو قال لفلان: صلِّي أو صُمْ أو زكِّ أو حج، ولو نهى فلان عن الغيبة والنميمة والسرقة والزنا، أليست هذه دعوة؟!!

وهذا لا يحتاج إلى بسط أدلة ومناقشتها ومقارعة الخصم بالحجة، وهذا من الأهمية بمكان، لاسيما وأن هذا الجيش الفكري ـ كما تقدم ـ كان المفترض أساسًا أن يؤدي دوره مع الغير، لا مع المسلم، فيدعوه إلى النور. لكن في زماننا هذا، أصبح لهذا الجيش دور بالداخل، كما له دور بالخارج.

والدعوة لا تخرج عن داعية ومدعو إليه، وموضوع الدعوة في حد ذاته.

والداعية هو من يحمل هم الإسلام، فيتمنى لو دخل الناس كلهم تحت لواء الحق أفواجًا. لذا، كان سمت الداعية الحق والتجرد والإخلاص وجميل الخلق. أما المدعو إليه، فمذاهب شتى؛ فمنهم من يحتاج إلى كلمة، ومنهم من لا يؤثر فيه دوواين، منهم من ينفعه وعظ، ومنه من قسا قلبه كالحجارة أو أشد قسوة، فلا يؤثر فيه وعظ ولا موعظة، ومنهم من يستجيب لداعي العقل، ومنهم من

يرفض القلب والعقل معًا. ولهذا، كان موضوع الدعوة مشتملاً على غير علم: العلم الديني بالدرجة الأولى، وعلوم أخرى أساسية للداعية المتخصص - لا الداعية العام المذكور أولاً.

وتعد هذه العلوم من الأهمية بمكان حتى يستطيع أن يسير في جنبات وأغوار المدعو إليه في حواره معه في الدعوة، فيأخذ بسويداء قلبه، برفق وحنان، إلى المراد، إلى هداية الشخص، بمراعاة نفسه ونفسيته، متغلبًا على الأمراض المستفحلة في القلوب. فهو في حواره مع المدعو إليه كالطبيب الماهر، يشخص الداء، ثم يصف الدواء، وليس أي دواء ينفع، لكنه ينتقي الدواء المناسب، ويحدد الجرعات المناسبة منه. ولا عليه أن يطعم هذا ببعض الفيتامينات التي تقوي روح وجسد المدعو إليه. بل، ويستخدم من المسكنات ما يطفئ آلام مرض القلب، ويأخذ بيده كالطفل رويدًا رويدًا؛ حتى يحقق هدفه، وينال ثمرته، والتي هي خير من الدنيا وما فيها. هنالك يكتسب فردًا جديدًا في جيش الإسلام الفكري، لا يرضى القعود والنكوص عن خدمة جيشه، فيهبّ مسرعًا لتحقيق ذات الدور. فتكون الأمة كلها وقفًا لله تعالى، تعمل لله، وتتحرك لله، فتزداد حرصًا وتمسكًا، وتلفظ خبثها وأدرانها. ويسير النور في زيادة لا في نقصان.

هذا هو المأمول، لكن ما الواقع؟! وكيف علاجه؟!!

الواقع أننا أمة فقيرة في الدعوة أشخاصًا ومنهجًا وموضوعًا.

أما الأشخاص، فالعوام لا ترى عندهم هذا البعد الدعوي، بل يعتقدون أننا نعيش في أزهى عصور الإسلام، وأن الإسلام بخير. وهذا عن الطائفة الذين يؤدون الطاعات ويجتنبون المحرمات، وإلا فغيرهم من العوام، وهم كثرة، لا يعلمون شيئًا عن الإسلام، فضل عنا الدعوة.

وهذا أمر يستحق الوقفة، إذ الدعاة مهما بلغوا، قد حملوا بأعباء جسام، تحتاج لجهود وأوقات أكثر، مع ندرتهم في هذا العصر، مما يحتاج الأمر معه أن تجيش الجيوش لحوار الدعوة، فلا بد من حفز العوام لهذا الأمر؛ لكي يحملوا همّ الإسلام كذلك. ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها. فكلٌ يؤدي حواره بحسب ما لديه. هنالك يمكن أن تجد تطوراً ملحوظًا في هذا الأمر. وهذا يتحقق عندما يكون هم الإسلام مادة لكل خطبة وكل محاضرة ودرس، وبأكثر من أسلوب، وبكل السبل، حتى يتأصل هذا المفهوم لدى الناس كلهم.

وإني لأعجب أن غير المسلمين يعيشون هذه الحقيقة، ويؤدون ويفعلون، كل في مكانه. وأصحاب الحق تائهون غافلون في أوحال الدنيا، ولا تجد عندهم من الحق إلا القليل. ولا يحملون هذا الهم إلا عاطفة بلا عمل، وعلى فترة من الزمن، ثم يصير الأمر نسيًا منسيًّا.

وهنا، لا بد من ذكر أمر آخر في هذا الصدد، وهو في هذا العصر آكد، إذ لا بد من الحديث عن الإسلام لا من منطلق الدفاع، وهذه آفة دعوية منتشرة. فهذا، مع الحرب على الإسلام في كل مكان، ولّد أثرًا عكسيًّا لدى الكثير بضعف الإسلام ووهنه، مما جعل بعض الناس يتبرأ منه أحيانًا، في الحديث عن منطق الإسلام في بعض القضايا؟!

وهذا هو المطلوب والهدف الأساسي من الغزو الفكري من غير المسلمين وإثارة الشبهات لديهم. حتى أسرَ الإسلام في ترهات لا تحتاج إلا لعالم رباني وواعظ محنك يدير الدفة ويضعهاَ في مكانها الصحيح، فينشر الحق نشراً، ويبين عيوب الباطل وضعفه، فيعلو الحق. والعوام يحبون القوة، فيتمسكون بالحق ويدافعون عنه في حوارهم الدعوي. وهذا دور العلماء في كل مكان أن يبثوا ليل نهار إسلامهم على النحو الذي بثه الله في قرآنه. ولو تدبرت القرآن لرأيت الحجج تقطع أعناق المجادلين، فلا يجدو إلا الترهيب لإسكات الحق وأهله، فهيا إلى مأدبة القرآن لنعرف كيف يكون الحوار، من منطلق قوة الحجة، وبيان السلطان الإلهي المبين.

والدعاة، فهم قسمان: موظفون، ودعاة حقيقة وفعلاً. أما الموظفون، فقد اعتبروا الدعوة مجرد وظيفة يرتزقون منها تدر لهم الدخل لكي يقتاتوا به. وقد يكونون قد دخلوا هذا المجال على غير رغبة منهم. ولذا، ترى فيهم ذات الأداء الوظيفي في الدول المتخلفة، ضعف وهزال وروتين وتكرار وكلام جامدلا روح فيه. ناهيك عن الضعيف والموضوع من الأحاديث والاسرائيليات. وهؤلاء همهم الأكبر لقمة العيش، حيثما تأتي يسيرون وراءها. ومن هنا، ضربت الدعوة في مقتل، وأي مقتل. فالداعية المفترض أنه لا يعبأ بذهب المعز ولا بسيفه. وإنما يقول كلمة الحق لا يخشى في الله لومة لائم. ورحم الله أيامًا كان العلماء يعيشون مع الفقر، ويرضون به. والمهم لديهم أن تظل راية الإسلام عالية خفاقة.

وإذا تصفحت التاريخ، وجدت كثيرًا من هؤلاء العلماء الذين لم يشتروا بآيات الله ثمنًا قليلاً، ولم يبيعوا دينهم بثمن بخس. والتاريخ يحدثك نفسه عن ذلك الصنف الآخر عبر العصور، والذي استُدرج بجاه أو سلطان أو مال أو نساء أو بالأحرى الدنيا. وكانت محنة الدين العظمى من أولئك، إذ يلبسون ثوب الدين، وهم يُلبِّسون على الناس دينهم، ويكتمون الحق وهم يعلمون، حتى يختلط الحابل بالنابل، ويضيع الدين بفعل أولئك الموظفين، فما العلاج إذن؟!!

العلاج ألا يدخل أولئك أماكن الدعوة من الأساس؛ إذ لها من رجالها الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليهم، وما بدّلوا تبديلاً. ولا يهم عدد الداخلين ولا كمهم، والمهم كيفهم. أما أن يدخل هؤلاء، ولو كانوا ولو كانوا، فسترى النتيجة منافق عليم يجادل بالقرآن. وهذا الأمر رحمة به كذلك، مادام لا يقدر على أعباء الدعوة حتى لا يضل ويُضل، فيكون حسابه عسيرًا يوم القيامة.

هذا من ناحية، ومن ناحَية أخرى، يجب الاهتمام بهؤلاء الدعاة، وتوفير سبل الحياة اللائقة لهم؛ حتى يتفرغوا للدعوة ويؤدون مهمتهم حق القيام بها.

وهذا واجب على كل دولة إن أرادت خدمة الإسلام بحق. ثم هناك جانب الأوقاف الإسلامية، فلا بد من إحيائها ثانية واستقلالها، وأن يعطى ريعها لأولئك الذين يفنون أعمارهم في سبيل الله. وهذا واجب على العالم الإسلامي ككل. ومن العجب حقًّا أنك تجد الداعية في بلد لديه كل الإمكانيات ولا يسخرها للدعوة، في حين أن هناك ملايين يفتقرون للحد الأدنى يسخرون كل ما لديهم لله عز وجل. وتلك مهمة من يحمل همّ الإسلام. ثم تأتي بعد ذلك مهمة الناس أجمعين، وأن يحول الإنفاق إلى هذه الوجوه، بالإضافة لوجوه الإنفاق الأخرى، وأن يعرف الناس أن هذا واجب عليهم لا صدقة ولا منة منهم، ولهم في ذلك ثواب كل عمل نتج عنه. وبذلك، يمكن أن تتحرك الدفة إلى ما هو أفضل.

أما الدعاة حقيقة وفعلاً، فهم من كانت همتهم الدعوة في ليلهم ونهارهم، في غدوهم ورواحهم، مع الصغير والكبير. لا تفتقدهم الدعوة في أوقات الشدة، ولا ينسونها أيام العسر، فكيف بأيام السعة والرخاء، هي حياتهم التي لا يستطيعون الحياة دونها. وقفوا أنفسهم لله حركة وسكنة، لا يستذلهم ذهبالمعز، ولا يرهبهم سيفه. وهم الدعوة، والدعوة هم وبهم، إذ بهم ترتقي وتصنع الأجيال بعد الأجيال. والموظفون غارقون في وظيفتهم، وهؤلاء يبنون ويبنون، وترى أثرهم عيانًا في كل مكان بين ملتزم وملتزمة، ومتدين ومتدينة. أولئك هم الدعاة، وقد تكون تلك وظيفتهم، لكن وظيفتهم تابعة للدعوة، لا الدعوة تابعة لوظيفتهم. وقد يكونوا ممن آلمهم حال أمتهم، وتخاذل أولئك الموظفين عن دورهم، فهبوا ينقذون الأمة من غفوتها، بعد علم ودراسة، فراحوا يحاورون ويتحاورون، ويقولون ويفعلون، ويحاجّون ويجادلون، حتى ذاع صيتهم، وانتشر تأثيرهم. وهؤلاء لهم من الله الثواب الأجزل، كيف وهم ينافحون عن دين الله عز ودجل، ينفون عنه تحريف المحرفين، ويبينون للناس ما يكتمه الغير، ويقولون الحق ابتغاء وجه الحق.

أما عن منهج الدعوة، فأقصد به تلكم المناهج الخاصة بالدعوة، هل هي مستوفاة؟! وهي بحق تشكل داعية؟!!

أما عن كونها مستوفاة، فهذا ما أشك فيه، فبعض الكليات، والمتخصصة في الدعوة هي التي تفصل في مناهج الدعوة، والبعض الآخر يوجد به كتاب يحتاج إلى إضافات كثيرة. ولقد اطلعت على بعض مناهج علم نفس الدعوة، فلم أجد لا علم نفس، ولا دعوة، ووجدت مجرد ترديد لمصطلحات علم النفس المعاصر، دون تأصيل شرعي متماسك للدعوة وما يتصل بها في علم النفس. وقل هذا فيما يخص الجانب المجتمعي، إذ مجرد معلومات عامة لا تشكل نموذجًا لدعوة مجتمعية، وهكذا في مواد أخرى كثيرة. رغم أن هذه الأمور في غاية الأهمية؛ إذ لا بد من دراسة نفسية وبيئية ومجتمع كل بيئة دعوية حتى تكون الدعوة على أحسن نسق ممكن وتؤتي ثمرتها.

ومن الأمور كذلك، تعلم آليات التحاور مع أهل الباطل. وهذا يمكن اكتسابه من القصص القرآني، على مدار حوار أهل الحق مع أصحاب الباطل. فيمكن تدريس الكتب الزاخرة بهذا القصص، لا الكتب الجافة، ولكن الكتب التي تبرز هذه النقطة، وتسقط ذلك على الواقع مما تطعم الداعية بالسلطان المبين والحجة القوية.

ومن تلك الأمور كذلك، ما يعرف بفنون الاتصال بالآخرين، إذ تقتصر مادة الدعوة على الآداب التي يتحلى بها الداعية. لكن ثمة أمور أكثر دقة وتفصيلاً في هذا المجال، ويجب تأصيلها شرعًا، والأخذ من المنبع الأصيل لدينا من الكتاب والسنة، لماذا هذا كله؟!! لأنني وجدت كثيرًا من الدعاة يتخبطون يمنة ويسرة، ويجعلون الناس حقل تجارب لدعوتهم، حتى أصبح الصدام والتنافر محل كثير من حوارات الدعوة، لاسيما أن في قلوب كثير خير يحتاج لإبرازه، وأناس آخرون اعتمدوا على المجاراة والمجادلة والجدل يلعبون بالدعاة كيفما يشاءون، وتجد الداعية واقفًا صفر اليدين رغم ما لديه من علم.

أما عن موضوع الدعوة، فالقصد المادة العلمية التي تقدم للمدعو إليه. وفي هذا، لا بد من وجود ما يسمى بفقه الدعوة، إذ حتى يتم الشفاء لابد من توصيف الداء صحيحًا، وأخذ العلاج بجرعاته المناسبة كمًّا وكيفًا، زمانًا ومكانًا. وكم من الدعاة يملكون العلم الصحيح النافع، لكنهم افتقدا لفقه الدعوة، متى يتكلم؟!! ولماذا؟!!

وليس في كل مكان ينفع التكلم؟!!

فهذه كلها من عوامل الخسارة الكبيرة التي تؤدي إليها حوارات الدعوة المعاصرة، مع الوضع في الاعتبار كم من مجهود بذل للوصول إلى هذه الحوارات. ثم يأتي انعدام الفقه الدعوي سببًا في تضييع الأمر برمته، وإلى الله المشتكى.

وبمراعاة الأمور السابقة وغيرها في حوارات الدعوة، سواء تلك المتعلقة بأشخاص الدعوة أو بمنهجها أو بموضوعها، فإنه يمكن القول إن الدعوة تسير في طريقها الصحيح، عسى أن تؤتي ثمرتها المرجوة إن عاجلاً أو آجلاً بإذن الله تعالى.

المبحث الثانى

ثمرة الحوار فى التربية

التربية بداية كل نجاح، وإهدارها سبب كل فشل. وإذا استقرأت أفعال الناس قاطبة لا يسعك إلا أن تقول إلا إن هناك خللاً في التربية، بداية من الفرد ومروراً بالأسرة وانتهاءً بالمجتمع كله.

ومحاضن التربية الأسرة والمدرسة والمجتمع. ولقد ابتليت هذه المحاضن كلها بما أوجد شرخًا واسعًا في التربية، فهل يصلح الحوار ويضيق من هذا الشرح فضلاً عن أن يمنعه؟!!

إن التربية تستوجب شخصين: شخص يربِّي وآخر يُربَّى، وبينهما حوار التربية. والحوار في التربية ركن لصيق بها، لطالما افتقده الكثيرون، واستخدموا وسائل القسوة البالغة أو التفريط المدلل، حتى صار عندنا كمٌّ من المعقدين نفسيًا، والمهلهلين فكريًا. لكن حواراً في التربية إذا أقيم على المعيار الصحيح، فستنتج شخصًا متكامل الأركان، متوازنًا نفسيًا، يؤدي دوره دينًا ودنيا على خير وجه.

والغريب في الأمر أن الآباء يعاملون أولادهم كالأنعام، إذ كل همهم البحث عما يطعمهم ويسقيهم، فأين الجوانب الأخرى، وعلى رأسها الجانب الديني. والثمرة المرجوة من حوار التربية لا تعدو أن تكون صلاح الفرد والمجتمع، لكن كيف هذا، وما السبيل إليه؟!!

ما السبيل إليه في وقت لا يحتكر الآباء تربية أبنائهم، بل يربيهم الشارع وأشخاصه، وما أدراك ما أشخاصه، والمدرس الذي فقد الكثير من معاني التربية، والتلفاز والقنوات الفضائية، . . . كيف السبيل؟!!

إن المسألة جد صعبة، ويزيد من صعوبتها اختلال المنظومة القيمية، وإعلاء المادية البغيضة، وتهلهل الحق ومعانيه في نفوس الناس، وفشو الباطل وعلو أصحابه وانتفاشهم بين الناس، وعدم اكتراث الناس بالدين، بل هو في

المؤخرة، إن وضعه البعض في اعتباره أساسًا!! بل، وأمراضنا نحن الكثيرة والمتأصلة فينا، كيف السبيل؟!!

إنه طلب العون من الله، والمدد منه سبحانه وتعالى، والابتهال والتضرع إليه، ودعائه والتوسل إليه أن يلهم العبد الهدى والسداد في كل شئونه، وإن تصدق الله يصدقك.

أما بشأن الأسرة، فجناحاها الأب والأم. فإن ظفرت بذات الدين، وإن حازت ذا الخلق والدين، فانتظر ثمة حوار التربية، لكن اهتمامًا بالمال أو الجمال أو النسب أو الجاه وغير ذلك من زواج المصالح، فنهايته قريبة، وإن ظلا متزوجين على مضض. وإذا كان هذا حالهما، فكيف بأولادهما؟! وحدِّث عن الحوار في هذا الصدد؟!!

فإن أبيت إلا هذه المعاني الزائلة، فلا تلومنّ إلا نفسك، إذ يكون الزواج حينئذ ليس إلا سجنًا صنعته بيديك. وكم كثرت حالات الطلاق بين المتزوجين حديثًا، ولابد من وقفة لهذا، إلا أنه لا مُعتبر.

فإن استقام الجناحان على منهج الله، فترى مراعاة الله في الصغير والكبير، وحدّث عن حوار التربية!!

حوار طاهر ينمي الفكر والروح، ويبذر بذور المجاهدين، ويفتح السبل لأناس راشدين.

حوار يجد القدوة فيه قبل القول، والسلوك قبل العمل، وأحسن بذلك من تربية!! وأحسن به من حوار للتربية!!

وإذا تشرّب الولد سلوك أبيه الملتزم وأمه المتدينة، فمهما عصفت به الأعاصير، فسيعود إلى الحق.

لكن هناك حوارًا آخر، على العكس مما تقدم، حوارًا ينظر فيه الابن إلى الأب نظرة الريبة.. فهو يسمع أقوالاً، ويرى نقيضها. يستمع للنصائح تلو النصائح، ويرى غير ذلك على أرض الواقع، فكيف يثمر هذا الحوار؟!!

وحوار ثالث تحكمه لغة البطش والتنكيل، السمع والطاعة بلا مناقشة أو تفكير، التجبر والجبروت. فملخص الحوار (افعل وإلا)، وما فيه من لغة الحوار من شيء؟! إنه مثال لسوء التربية، مثال يتعامل فيه الأب كالفرعون

الطاغوت، فيربي ابنه على العبودية. يربي ابنه على الذل والخضوع، ويتربى الابن فيه على الخوف والخنوع، تنعدم فيه حرية الإرادة والتفكير، فيصير الابن معدوم الشخصية، مقهور الإرادة، فكيف له أن يتحرر من سلطان الخوف والضعف؟ وأنى له أن يحرر غيره؟!!

وحوار أخير يطلق فيه العنان للابن أن يفعل ما يشاء، وقت شاء، بلا تدبر ولا مراجعة، ولا تفكر ولا محادثة، سبحان الله!!

وهل هذا من التربية؟!! وأين أنت من حوار التربية!!

الحوار الذي فيه الأسوة والقدوة، والإقناع والاقتناع، وبذر بذور الحب والمحبة، والبر والخير، والتعود على الصدق والصراحة، والرجولة والشجاعة، حتى نرى ثمرة ذلك في رهبان الليل، وفرسان النهار.

فإن انطلق الولد بعد ذلك إلى المدرسة، فيكون شخصًا محصنًا من الداخل، لكن!! وما أدراك ما لكن هنا؟!!

فقد كانت المدرسة منبرًا للتربية ومحطة للتعليم، يتربى فيها الفرد على كمال التربية والفكر، وينشأ على أعالي الأخلاق ومكارمها. وإذا سألت أحدًا من العلماء كيف وصل إلى ما وصل إليه؟! سيجيبك: لقد تأثرت بأستاذي كذا، وأستاذي كذا، لكننا اليوم نخشى على أولادنا من المدارس، إذ لم يعد فيها تربية، ناهيك عن التعليم، وتلكم مشكلة أخرى.

ومن هذا المنطلق، لا بد من عودة أخرى إلى صحيح الأخلاق، وانتفاء المربين لأولادنا. لقد أصبحنا نسمع الأعاجيب مما يحدث في المدارس. إن مدارس كهذه تشكل مستودعًا لسوء الأخلاق لا لحسنها. كيف يتأتى أن يولد هنا حوار للتربية صحيح يؤتي ثمرته، وفاقد الشيء لا يعطيه. وهذا دور الدولة والمجتمع وكل من بيده الأمر من إعلاء للمنظومة القيمية، واختيار المدرسين على أساسها؛ حتى لا يصير الأمر من حصيلة التعليم إلا مجرد ورقة، بل وقد لا تسمن ولا تغني من جوع، نتيجة لانقلاب الأوضاع المعاصرة.

إن الأمر جد خطير، ولا بد لكل مسلم أن يتفهم هذا. إن أمن الأمة القومي هو أخلاقها. فإذا انفرط أساسها في التربية، فحدّث عن ضياع الأمم. وها نحن نجني من وراء ذلك الكثير، فما بالك بالأجيال القادمة؟! إن حوار التربية الذي

ننشده لن يوجد بالتمني ولا بالأماني. وصلاح الفرد والأمة لن يتأتى إلا بالبنيان التربوي مع البنيان العقدي.

وثمة مخرج عملي في هذا الصدد، وهو ما كان يفعله عرب الجاهلية، إذ كانوا يبعثون أبناءهم في البوادي لدى الأعراب حتى يكونوا رجالاً بمعنى الكلمة. تتحقق فيهم معاني الرجولة منذ الصبا، ولذا تسمع عن بطولات وبطولات الصحابة، في سن لو جمعت الملايين منّا ما سدّ مسدهم. وهو ما كان يفعله في العقود الماضية الآباء، ولا زال في بعض الدول، وهو إرسال أولادهم إلى الكتاتيب كيما يشربوا من خلق القرآن، ويتعلموا من أخلاق مُعلمهم، ويتربوا على السير والغزوات حتى تنغرس فيهم معاني الرجولة. وهذا يخفف من الوطأة الكثير، وهذا يكون في كل العام، لا في أشهر الإجازة الصيفية، ولا في سنوات الصغر فقط، بل حتى يشب ويستوي عوده، فيكون في البيت حوار صحيح للتربية، يكمله في المسجد حوار طاهر للتربية.

أما بالنسبة للمجتمع، فما قيل سابقًا يقال هنا من إعادة بث المنظومة القيمية، والتوجيه صوب مساجد الله؛ حتى ينشأ حوار التربية، وحتى لا يضيع هذا المجهود وسط بيئة فاسدة تؤثر في الطفل ويتأثر بها.

والحاصل من كل ذلك أن للحوار في التربية دورًا عظيمًا؛ إذ به تتأثر حسن التربية، والتي يتبع حسن البذرة للفرد، ومتى بذرت بذور الخير في الفرد، فانتظر كل الخير منه، وله، وللمجتمع بأسره.

المبحث الثالث

دور الحوار في الثقافة

الثقافة غذاء العقول، كما أن الطعام غذاء الأبدان. ومن الناس من يهتم بغذاء الأبدان ويقدمه على غذاء العقول. ومنهم من يقدم غذاء العقول على غذاء الأبدان، وهم قلة في الأزمنة المعاصرة، ومنهم من لا يعرف عن غذاء العقول شيئًا، جاعلاً كل همه في غذاء الأبدان، ومن الناس من يضطر إلى هذا اضطرارًا، وهم كثير.

ولا يظن ظانّ أن المقصود من الثقافة وريقات التعليم التي يتلقاها الفرد إبان تعليمه حتى يتخرج، أو مفاسد الفكر التي امتلأت بها وسائل الإعلام كافة. فكل هذا ينبئك عن ضمور ثقافي للأمة، وآية هذا، اعقد حوارًا مع آخر في أي لون من ألوان الثقافة، فتجده من الصم البكم العمي، وإذا كان لا يعرف دينه من الأساس، فكيف يرتقي لمعرفة الثقافة؟!!

والأنكى من هذا والأضل سبيلاً أن تقدم سفاسف الأمور المخالفة للشرع، بزعم أنها من مواد التنوير والثقافة. وتبسط لعوام المسلمين بغير وسيلة، حتى يشربوها شربًا، فيحدث مسخ فكري مشوه، ونسخ لعقول المسلمين على أي نحو بخلاف منحى ربهم.

أقصد مما تقدم أنه لا توجد ثقافة حتى يوجد حوار في الثقافة، فالمادة المزعوم أنها من الثقافة ليست من الثقافة في شيء، بل منها ما هو خبيث مستقذر، يجب الطهارة والتطهر منه، كما يجب التطهر من النجاسات.

والأشخاص المزعوم جلهم أنهم مثقفون هم متسولون فكريًّا، ومن الضحالة الفكرية بمكان.

وزاد الأمر حينما أصبح دين الله عز وجل مادة للطعن والسخرية والاستهزاء وغير ذلك، وبالهمز واللمز، وبالأسلوب غير المباشر بزعم حرية الإبداع والثقافة.

فمن أين يأتي حوار الثقافة إذن؟!!

إننا بلا شك في أوحال ومستنقعات فكرية تحتاج لعمليات تطهير كلي شامل.

أضف إلى ذلك، أن ألوان الثقافة المقدمة، مقدمة بالفكر المادي، والذي لا يعرف للكون إلهًا، ولا للشخص دينًا، وهي مطعمة بكل شيء إلا الإلهيات، فهل هذه ثقافة؟!!

وحتى في العلوم الطبيعية، نراها تقدم من غير أصولها الشرعية، فتفتقد حيويتها وروحها، إلا من بضع علماء يضعون النقط فوق الحروف، ويردون الأمور إلى أصلها.

والحاصل مما تقدم، وحتى يتأتى الحوار في الثقافة، لا بد من وجود رجال يقدمون الثقافة الأصيلة الخصبة، والتي لا تتعارض مع الوحي الإلهي، ويقفون أمام هذا التيار المستغرب، والذي ضلَّ وأضلَّ، وفتك بالأمة فتكًا، حتى انسلخت من أصلها وأصبحت تابعة متسولة لحثالة أفكار البشر، والتي تثبت الأيام، يومًا بعد يوم، فسادها وإتلافها للعقول. وقد رفعت لها الرايات، وسبكت لها الشعارات، لكنها وطئت بالأقدام في عصور تالية. وهكذا، حتى كتب على العالم أن يكون حقل تجارب على مر العصور لأفكار أفراد مجردة من الوحي الإلهي، وإذا تجرد الفرد من الوحي الإلهي، فبم يهرف؟! وكم فسد وأفسد؟!!

وكم فقدت فيها الإنسانية نفسها، وهي لا تدري!!!

هنالك، حيث تتكون تلك المادة، والتي تعد معينًا خصبًا للثقافة، تجد حوار الثقافة، الحوار الذي به الغناء والكفاء، الحوار الذي ترتفع به عن الماديات، الحوار الذي يثمر ويغني العقول، الحوار الذي به يسكن الفؤاد والقلب، الحوار الذي يوصلك إلى صحيح الثقافة، الحوار الذي به العلو والسمو، الحوار الذي ينتهي بك إلى معرفة نفسك، وشكر وحمد ربك، والعمل لآخرتك، الحوار النافع المفيد. هذا هو الحوار الذي به يتثقف الفرد والمجتمع، ويكون فيه مزيد من العلم والخبرة، والفقه والدربة، لمختلف مجالات الحياة.

الخاتمة

وحينما نقلب معًا صفحات البحث، يمكن أن نخلص للنتائج الآتية :ـ

١ـ الأهمية القصوى للحوار في زماننا هذا، لخدمة الإسلام وأهله.

٢ـ ضرورة الاعتناء بضوابط الحوار حتى يؤتي ثمرته المرجوة منه، وحتى لا تضيع الجهود سدى وعبثًا، ولا تسير صوب سراب لا يجدي نفعًا.

٣ـ وجوب الاستفادة العملية من الحوارات القرآنية علمًا وعملاً، ففيها الغناء والشفاء في الدنيا والآخرة.

٤ـ أهمية الاعتناء بحوار النفس قبل غيره؛ فهو حجر الأساس الصحيح لأي بناء، إن أردنا صحيح البناء.

٥ـ وجوب تكاتف كل من يحمل همّ الإسلام حتى يحدث تكامل في العمل الإسلامي من شأنه أن يجابه تكاتف قوى الباطل ضد الإسلام.

٦ـ ضرورة إحياء دعوة الإسلام في كل زمان ومكان.

٧ـ ضرورة البناء العقدي والاقتصادي وغيره للأمة. وهو أمانة في عنق كل مسلم، حتى تعود ذات ريادة وقيادة.

٨ـ ضرورة معالجة مشكلات الدعوة والتربية والثقافة المعاصرة، حتى يؤتي الحوار ثمرته في كلٍ.

المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- مختار الصحاح، للشيخ محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، طبعة دار الحديث، بدون تاريخ.

٣- المصباح المنير، للعلامة أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، طبعة دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-/ ٢٠٠٠م.

٤- المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية المصري، طبعة ١٤٢١هـ-/٢٠٠٠م.

٥- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار الحديث، بدون تاريخ.

٦- تفسير القرآن العظيم، لأبو الفداء عماد الدين الحافظ ابن كثير، تحقيق/ طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الإيمان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ /عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق/عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، طبعة دار الحديث، طبعة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٩- صحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق/عصام الصبابطي، وحازم محمد، وعماد عامر، طبعة دار الحديث، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

١٠- صحيح الجامع الصغير وزيادته، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١١- سنن الترمذي، للإمام الترمذي.

١٢- سنن النسائي، للإمام النسائي.

١٣- سنن ابن ماجه، للإمام ابن ماجه.

١٤- مستدرك الحاكم، لأبي عبد الله الحاكم.

١٥- جامع العلوم والحكم، للعلامة ابن رجب الحنبلي ، تحقيق عبدالله المنشاوي، مكتبة الإيمان، طبعة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

١٦- إعلام الموقعين عن رب العالمين، الإمام ابن القيم الجوزية، تحقيق عصام الصبابطي، دار الحديث، طبعة ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢م.

١٧- قواعد الأحكام ، للإمام العز بن عبد السلام.

١٨- المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، د/عبد الكريم زيدان، دار عمر بن الخطاب للطباعة والنشر والتوزيع.

١٩- المستفاد من قصص القرآن الكريم، د/ عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٠- تلخيص أحكام الجنائز، للشيخ الألباني، المكتب الإسلامي.

٢١ - رائق الشهد من شعر الدعوة والرقائق والزهد، وإسلاماه، جمع وترتيب د/سيد العفاني، مكتبة معاذ بن جبل، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

المحتويات